روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

مهمة خاصة

٥٠

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل • مهمة خاصة • ٥٠ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة



مهمة خاصة

- كيف أدين (أدهم صبرى)، وحكم عليه بقضاء عشر سنوات فى السجن الحربى؟
- لماذا كانت اليونان أرض المعركة هذه المرة؟ ولماذا هى مهمة خاصة؟
- تُرى .. أينجح (أدهم صبرى) فى هذه المهمة الخاصة، أم يكون هذا أول فشل لـ(رجل المستحيل)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة؛ لترى كيف يعمل (رجل المستحيل).



العدد القادم: سم الكوبرا

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـــ عشر سنوات ..

« غير معقول .. هذا غير معقول على الإطلاق » .

هتف مدير المخابرات العامة المصرية بهذه العبارة فى سخط ، أمام وزير الدفاع المصرى ، الذى عقد حاجبيه فى ضيق ، وغمغم :

ـ إنه القانون العسكرى أيها اللواء .

لوَّح مدير المخابرات بذارعه فى حنق ، وصاح :

ـ تبًا له .. إن ما يحدث أمر مثير للسخرية والمرارة .. كيف يحاكم رجل مخابرات مثل (أدهم صبرى) ، بعد كل ما فعله طيلة حياته من أجل هذا الوطن ؟ .. وبأى منطق يحكم على رجل مثله بعشر سنوات فى السجن الحربى ؟

قال وزير الدفاع فى ضيق :

ـ لقد خالف (أدهم صبرى) الأوامر الصادرة إليه ، وتسبّب فى فضيحة للمخابرات المصرية فى (روما)(*) ، وعقوبة هذا فى القانون العسكرى هى الإعدام ، ولكن السيد رئيس الجمهورية تفضّل بتخفيف الحكم إلى عشر سنوات من السجن فقط ، نظراً لملف (أدهم) المشرّف ، و ....

(*) راجع القصة السابقة (الضربة القاضية) .. المغامرة رقم (٤٩) .

قاطعه مدير المخابرات فى سخط :

ـــ وماذا يا سيادة الوزير ؟ .. إن وضع رجل يمتلك قدرات (أدهم صبرى) فى السجن ، خلف قضبان فولاذية ، فى زنزانة رطبة الهواء إهدار لطاقة وطنيّة هائلة .

صاح وزير الدفاع وقد تملكه الغضب :

ـــ وماذا كنت تريد منا أن نفعل يا مدير المخابرات ؟ .. نربّت على كتفه ، ونقول له لا تعد إلى ذلك مرّة ثانية أيها الشقى ؟!! .. لقد تجاوز (أدهم صبرى) كل حدوده فى عمليته السابقة ، وكان لابد له من أن يلقى جزاء استهتاره بقواعد عمل المخابرات هذه المرّة .

اختنق صوت مدير المخابرات فى حلقه ، وهو يلوّح بيده غاضباً ، قبل أن يخرج الصوت من بين شفتيه متحشرجاً ، وهو يقول .

ـــ (أدهم صبرى) رجل لا يمكن تعويضه ، لقد بدأ والده ـــ رحمه الله ـــ تدريبه على أعمال المخابرات ، وهو بعد فى السابعة من عمرة ، فقد كان منتهى أمله أن يحلّ ابنه محلّه فى سلاح المخابرات ، الذى كان حديث العهد فى ذلك الحين ، ولقد أظهر (أدهم) تفوّقاً نادراً فى هذا المجال ، حتى أنه بهر رؤساءه تماماً عندما التحق بقوات الصاعقة قبل حرب أكتوبر

١٩٧٣ ، وأنت تذكر ، بوصفك مديراً سابقاً للمخابرات العامّة ، كيف كان رائعاً فى عمليته الأولى فى عالم المخابرات(*) ، حتى أنك لم تتردّد لحظة فى ضمه إلى سلاح المخابرات ، وحتى تقاريره السابقة فى القوات الخاصة تؤكد عظمته .

عاد يلوّح بذراعه فى سخط ، قبل أن يستطرد :

ـــ حتى فى خلال معارك حرب الاستنزاف ، كان الضابط الوحيد فى القوات المسلحة المصرية كلها ، الذى يقوم بالعملية كلها وحده ، ويعود سالماً ، وهذه مقدرة فذّة نادرة .

هتف وزير الدفاع .

ـــ ولكنه يتحدّى الأوامر الصادرة إليه دوْمًا .

ظهر الغضب على وجه مدير المخابرات ، وهو يومئ بسبابته ، قائلاً فى حدّة :

ـــ اسمعنى جيّداً يا سيادة وزير الدفاع .. إن (أدهم صبرى) لم يفشل فى عملية واحدة منذ عمله فى المخابرات العامّة ، ولقد تحوّل إلى أسطورة فى عالم المخابرات ، وهو دوْماً كالسيف فى قوته وصلابته ، ولو أنكم حطّمتموه فلن يبقى منه إلاّ نصل ومقبض ، وهما قطعتان لا فائدة لأيهما منفصلة .

لوّح وزير الدفاع بكفه هذه المرّة ، وقال :

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) ... المغامرة رقم (٣١) .

— سبق السيف العزل يا مدير المخابرات .. فـ (أدهم صبرى) فى السجن الحربى منذ أسبوع كامل ، ولن يفرج عنه أبداً ، إلا بعد قضاء مدّة سجنه .

غمغم مدير المخابرات فى حَنَق :

— عشر سنوات كاملة ؟! .. ماذا تنتظرون من (أدهم صبرى) بعد عشر سنوات فى الظل ؟ .. سيفقد حيويته وتألقه ، وربما فقد ولاءه لهذا الوطن .

عقد وزير الدفاع حاجبيه ، وقال فى صرامة :

— فلنختصر الموقف .. ماذا تريد بالضبط يا مدير المخابرات ؟

أسرع مدير المخابرات يقول :

— الإفراج عن (أدهم صبرى) ، وإعادته إلى صفوف المخابرات العامّة .

هتف وزير الدفاع فى حزم :

— مستحيل .

غمغم مدير المخابرات ، وهو يضغط أسنانه غضباً :

— حسناً يا سيادة وزير الدفاع ، ولكن حذار من الندم .

أساء وزير الدفاع فهم عبارة مدير المخابرات ، فصاح فى حنق :

— حذار من مغزى حديثك أنت يا مدير المخابرات .. إن (أدهم صبرى) لن ينجح فى الهرب من السجن الحربىّ أبداً .

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، تفيض بالمرارة على وجه مدير المخابرات ، وهو يقول :

— الهرب ؟! .. لو أن (أدهم صبرى) أراد الفرار ، لكان الآن فى النصف الثانى من الكرة الأرضية يا سيادة الوزير ، مهما بلغت قوة حراسته .

عقد وزير الدفاع حاجبيه ، وغمغم فى غضب :

— ماذا تعنى إذن ؟

هزّ مدير المخابرات رأسه ، ومطّ شفتيه وهو يقول فى بطء :

— سيأتى يوم تتضح فيه الأمور يا سيّدى .

ثم استدار يزمع الانصراف ، فأوقفه وزير الدفاع ، قائلاً :

— إلى أين ؟

أجابه مدير المخابرات فى حِدَّة :

— سأذهب لزيارته فى سجنه .. هل هذا ممنوع ؟

ثم أسرع ينصرف ، قبل أن يتلقّى جواباً ..

* * *

استقبل قائد السجن الحربى مدير المخابرات فى حرارة واحترام ، وهتف فى لهجة ساخطة :

ـ تبًا لسجينكم (أدهم صبرى) هذا .. لم يمض عليه إلّا أسبوع واحد هنا ، وقد كاد يصيبنى بالجنون .

ابتسم مدير المخابرات ، وغمغم :

ـ هذا دأبه دائمًا .. أيرفض إطاعة الأوامر أم يسعى دومًا للهرب ؟

هتف قائد السجن الحربى فى سخط :

ـ لا هذا ولا ذاك يا سيّدى .. إنه على العكس يطيع الأوامر طاعة عمياء ، ولكنها أول مرة أرى فيها سجينًا فى السجن الحربى يمتلئ بالمرح والحيوية والنشاط ، ويحمل كل هذا القدر من السخرية والاستهتار .

غمغم مدير المخابرات فى حنان أبوى :

ـ هذا هو (أدهم صبرى) أيها القائد .

مطّ قائد السجن الحربى شفتيه ، وغمغم :

ـ ولكن هذا أمر يقلق ، فالسجين الذى ينتابه مثل هذا المرح ، يكون دائماً مقدماً على الانتحار .

كانا يسيران فى أثناء حديثهما نحو زنزانة (أدهم) ، فابتسم مدير المخابرات ، وغمغم :

ـ ليس (أدهم صبرى) من يفعل ذلك أيها القائد .

عقد قائد السجن حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ربّما .

ثم أشار إلى الجندى المكلّف حراسة زنزانة (أدهم) ، وقال :

ـ دعنا نلقى هذا السجين المرح .

أسرع الحارس يفتح باب زنزانة (أدهم) ، ولم يكد مدير المخابرات يخطو داخلها ، حتى تراجع فى ذعر ، وهتف فى ذهول :

ـ يا إلٰهى !! .. (أدهم) ؟!

فقد كان جسد (أدهم صبرى) معلقاً فى سقف زنزانته ، وقدماه تتأرجحان فى فراغها ، وصاح قائد السجن فى ذعر :

ـ ألم أقل لك ؟ .. لقد انتحر السجين !!

* * *



٢ ـ مهمة رجل واحد ..

ارتفعت ضحكة (أدهم صبرى) الساخرة ، وهو يهبط على قدميه ، أمام مدير المخابرات وقائد السجن ، اللذين تراجعا فى دهشة ، وهو ينفض الغبار عن زيّه ، قائلاً :

ـ الانتحار هو آخر ما أفكّر فيه أيها السيّدان ، إنما كنت أزاول بعض التدريبات .

هتف قائد السجن فى دهشة :

ـ التدريبات ؟ !

أشار (أدهم) فى هدوء إلى حلقة معدنية مثبتة فى منتصف سقف زنزانته ، وقال :

ـ خشيت أن يؤثر خمول السجن على لياقتى ، فقرّرت القفز عشر مرات يوميًا ، والتعلّق بهذه الحلقة ، لتقوية عضلات الـ ...

ابتسم مدير المخابرات فى ارتياح ، فى حين قاطع قائد السجن (أدهم) ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ ماذا ؟ .. هل تعنى أنك تقفز ثلاثة أمتار كاملة و....؟

بتر قائد السجن الحربىّ عبارته ، وكأن دهشته أعجزته عن

إتمامها ، فى حين صافح مدير المخابرات (أدهم) ، وهو يقول فى حرارة :

ـ كيف حالك يا رجل المستحيل ؟ .. لقد تقدّمنا بالتماس إلى السيد رئيس الجمهورية لـ .....

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

ـ هذا لا يقلقنى يا سيّدى .. شكراً للجميع .

فتح مدير المخابرات فمه ، لينطق بعبارة أخرى ، ولكن أحد رجال الشرطة العسكرية اندفع إلى الزنزانة ، وقال فى اهتمام بالغ :

ـ سيادة وزير الدفاع يطلب السيد اللواء فورًا .

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهو يقول فى دهشة :

ـ يطلبنى أنا ؟!

ثم استدار إلى (أدهم) ، وأردف فى حماس :

ـ لعل الأمر يختص بك يا (أدهم) .. انتظرنى .. سأعود إليك حتماً .

★ ★ ★

شفت كل خلجة من خلجات وجه مدير المخابرات عن الاهتمام الشديد ، وهو يعبر باب مكتب وزير الدفاع ، قائلاً :

ـ أى أمر خطير هذا ، الذى جعلك تطلب مقابلتى بعد أقل من ساعة واحدة من مغادرتى مكتبك يا سيادة الوزير ؟

أجابه وزير الدفاع فى قلق واضح ، وتوتر شديد ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره :

ــ لقد اختطف وزير الخارجية .

تراجع مدير المخابرات فى ذهول ، وهتف :

ــ ماذا ؟ .. هل حدث ذلك داخل مصر ؟

هزّ وزير الدفاع رأسه فى عصبية ، وقال :

ــ بل فى اليونان .. منذ ساعة واحدة فقط .

صاح مدير المخابرات ، وقد بلغ انفعاله مبلغه :

ــ كيف حدث هذا ؟ .. ولماذا ؟

أشعل وزير الدفاع سيجارته فى عصبية ، وقال :

ــ أنت تعلم بالطبع أننا بصدد توقيع أول معاهدة للتضامن العربى ، فى مؤتمر وزراء الخارجية ، الذى سيعقد فى مدينة (الرياض) ، فى المملكة العربية السعودية ، بعد ثلاثة أيام ، ولقد كان من المقرّر أن ينطلق وزير الخارجية من (أثينا) فى (اليونان) ، حيث يعقد بعض الاتفاقيات الدبلوماسية هناك ، إلى (الرياض) رأساً ، ولقد كان يغادر مبنى وزارة الخارجية اليونانية ، عندما انحرفت سيارته فى طريق جانبى ، على خلاف خط السير المقرّر ، وعندما هرع رجال الأمن إلى هناك وجدوا السيارة خالية تماماً ، فتم حصار المنطقة كلها ، وتفتيشها منزلاً منزلاً ، دون أن يجدوا أثرًا واحدًا له .

غمغم مدير المخابرات فى دهشة :

ــ يا إلهى !!

تابع وزير الدفاع ، وكأنه لم يسمع كلمة الدهشة التى انطلقت من فم مدير المخابرات :

ــ مازال الأمر فى مجموعه يبدو شديد الغموض ، حتى بعد أن تلقّت سفارتنا فى (أثينا) رسالة من مجهولين ، تطالبنا بإعلان انسحابنا من مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، فى خلال ثمانية وأربعين ساعة ، وإلاّ تم إعدام وزير الخارجية بلا رحمة .

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وغمغم فى قلق :

ــ ثمانية وأربعون ساعة فقط .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال وزير الدفاع فى توتر :

ــ لن يمكننا بالطبع الانسحاب من المؤتمر ، فغياب مصر عن المؤتمر يمثّل خسارة كبيرة ، نظرًا لموقعها السياسى فى الوطن العربى ، ومن العسير أيضاً التضحية بوزير الخارجية ، بعد كل خدماته للوطن .

قال مدير المخابرات فى لهجة قوية :

ــ المفروض إذن أن تعمل المخابرات العامة ، على إنقاذ وزير الخارجية ، حتى تنتهى هذه المشكلة قبل أن تمضى المهلة المضروبة .

أجابه وزير الدفاع :

ــ ينبغى البحث عنه ، والعثور عليه أولاً ، قبل أن نضطر إلى التضحية بأحد الأمرين ، إما المؤتمر ، أو وزير الخارجية .

خيم الصمت لحظة ، أشعل فيها مدير المخابرات سيجارته ، ونفث دخانها وهو يفكّر فى عمق ، قبل أن يقول :

ــ هذه العملية بالغة الخطورة يا سيادة الوزير ، فالبحث عن وزير الخارجية لابد أن يتم فى سرّيّة تامّة ، ومهارة فائقة ، فلو شعر مختطفوه بما نفعل ، فقد يعمدون إلى قتله ، أو تقصير المهلة الممنوحة ، ونحن فى الوقت ذاته لا نعلم أين هو ؟ .. ولا من مختطفوه .. إنها عملية شديدة التعقيد .

سأله وزير الدفاع فى حَنَق :

ــ هل ترفض العملية ؟

هزّ وزير الدفاع رأسه نفياً ، وقال :

ــ لا يمكن رفضها يا سيادة الوزير ، ولكننى أفكّر فى أنها عملية رجل واحد .. رجل يمكنه التفكير بذكاء (شيرلوك هولمز) ، ويتحرّك فى خفة وقوة ، ومهارة .

لوّح وزير الدفاع بكفه ، صائحاً :

ــ أرسل من شئت يا مدير المخابرات ، ولكن عليك أن تفعل المستحيل لنجاح المهمة .

ابتسم مدير المخابرات ، وقال فى هدوء :

ــ المستحيل يحتاج إلى رجل خاصّ يا سيادة الوزير .

عقد وزير الدفاع حاجبيه ، وغمغم ، وقد فهم مغزى قول مدير المخابرات :

ــ هل تعنى ... ؟

قاطعه مدير المخابرات فى هدوء :

ــ نعم يا سيادة الوزير .. المستحيل يحتاج إلى رجل واحد .

ثم أردف فى عمق :

ــ رجل المستحيل .

* * *



٣ ــ معاً ..

اقتربت والدة (منى توفيق) فى هدوء نحو ابنتها ، التى جلست واجمة ساهمة ، دامعة العين فى شرفة منزلها ، وقد شرد بصرها بعيدًا ، وربّتت الأم على كتف ابنتها ، وهمست فى حنان :

ــ ألم يحن الوقت بعد للتخلى عن كل هذا القدر من الحزن يا بنيتى ؟

سالت دمعة صامتة من عينى (منى) وهى تغمغم :

ــ هل تظنين العمر يكفى يا أماه ، لأنسى رجلاً مثل (أدهم صبرى) ؟

شعرت الأم بيد باردة تعتصر قلبها ، وهى تغمغم :

ــ لن ننساه أبداً يا بنيتى ، ولكننى أتحدّث عنك .. عن شحوبك وذبولك ونحولك ، منذ دخل هو السجن الحربى و ..

قاطعتها (منى) فى ألم :

ــ كفى يا أمّاه !!

أطرقت الأم فى حزن ، وحاولت أن تفتح شفتيها لتنطق

بكلمة أخرى لتعزية ابنتها ، لولا أن ارتفع رنين جرس الباب ، فعادت تربّت على كتف (منى) فى حنان ، قبل أن تذهب لإجابة الطارق .

مضت لحظات قصار ، قبل أن تعود الأم لاهثة إلى ابنتها ، وتهتف فى انفعال عجيب :

ــ (منى) .. لن تصدّقى .. إنه .. إنه .....

انتفض جسد (منى) فى مقعدها ، حينما سمعت صوتاً هادئاً ، يفيض بالحنان ، يقول :

ــ إنه أنا يا (منى) .

قفزت (منى) من مقعدها ، ووقفت تحدّق بذهول فى وجه (أدهم) ، الذى بدا شديد الوسامة فى حلته الأنيقة ، ورباط عنقه المعقود فى مهارة ، وابتسامته العذبة الجذّابة ..

لم تكن هناك لمحة واحدة فى مظهره ، توحى بأنه رجل غادر السجن توًا ، بل بدا كممثل سينمائى فى أبهى حلله ، بعد فوزه بجائزة الأوسكار ..

انتفض جسد (منى) مرّة أخرى ، وانهمرت دموع الفرح من عينيها غزيرة ، وهى تهتف فى سعادة غامرة :

ــ (أدهم) ؟ !!

كادت تلقى نفسها بين ذراعيه ، ولكنه التقط كفها .

وضغطها فى راحته بحنان ورقة ، وهو يتطلّع إلى عينيها مباشرةً ، ويقول فى وُدّ شديد :

ـ ها نحن أولاء معاً مرة أخرى يا عزيزتى (منى) .. لن ينجح شىء فى تفريقنا .

هتفت (منى) فى مزيج من الدهشة والفرح :

ـ (أدهم) .. كيف غادرت السجن ؟ .. هل هربت ؟

ابتسم ، وهو يقول متهكّمًا :

ـ لقد راودتنى الفكرة بالفعل ، عندما اشتعل لهيب شوقى لرؤيتك ، ولكنهم لم يمنحونى الفرصة ، وأسرعوا يطلقون سراحى .

هتفت الأم فى فرح :

ـ سأعد لكما كوبين من الشراب الحلو ، احتفالاً بالمناسبة .

أسرعت الأم تغادر الشرفة ، فى حين مالت (منى) نحو (أدهم) ، وسألته فى قلق :

ـ اصْدُقْنى القول .. هل أطلقوا سراحك حقًّا ؟

ابتسم ، وهو يقول :

ـ نعم يا عزيزتى .. لقد فعلوا .

سألته فى لهفة :

ـ كيف ؟ .. أعنى لماذا ؟ .. أعنى ....

قاطعها فى حنان :

ـ سأخبرك بكل شىء فى الطائرة يا (منى) .. وأسرعى ، فالوقت أمامنا قصير للغاية .

هتفت فى دهشة :

ـ الطائرة ؟! .. ألَمْ تفرّ حقًّا ؟

أطلق ضحكة مرحة ، وقال :

ـ بل سنسافر على نفقة الدولة يا عزيزتى ، فيبدو أنهم قرّروا منحى فرصة للانتحار ، بدلاً من تركى فى زنزانة رطبة عشر سنوات .

هتفت (منى) فى سعادة :

ـ هل تعنى أنها ....؟

قاطعها فى هدوء :

ـ نعم يا (منى) .. إنها مهمة جديدة .

ثم أردف فى سخرية :

ـ ولكنها لا تحمل أى طابع رسمىّ هذه المرّة .. إنها مهمّة خاصّة .. خاصّة جدًا .

* * *

استرخت (منى توفيق) فى المقعد المجاور لـ (أدهم

صبرى) ، داخل سيارة أنيقة ، تقطع شوارع (أثينا) ،
وتأملت هذه الشوارع ، ومبانى المدينة بعض الوقت ، ثم
التفتت إلى (أدهم) ، الذى صبغ شعره بلون بنّى فاتح ،
وصففه إلى الوراء ، وارتدى منظاراً شمسيًا داكن اللون ،
وقميصا مزركشا قصير الأكمام ، وأضاف إلى وجهه شارباً كثًا ،
حتى بدت هيئته أقرب إلى سائح أمريكى مستهتر ، منه إلى رجل
مخابرات مصرى سابق . وابتسمت (منى) وهى تقول :

ـ ألمْ تقرّر شرح الأمر لى بعد ؟ .. تذكّر أن أحدنا لم يَعُد
يعمل فى المخابرات .

ابتسم وهو يتطلّع إلى ساعته ، قائلاً :

ـ أعتقد أن لدينا ما يكفى من الوقت لإخبارك
يا عزيزتى ، فمازالت أمامنا تسع وثلاثون ساعة قبل نقطة
الصفر .

اعتدلت فى مقعدها ، وسألته فى اهتمام :

ـ إنك تزيدنى لهفةً وفضولا يا (أدهم) .

ضحك وهو يقول :

ـ هذا رأيك دائمًا يا عزيزتى .

ثم أردف فى جدية .

ـ إنه أمر بالغ الخطورة يا (منى) .

أخذ يشرح لها تفاصيل الأمر ، وهى تستمع إليه فى دهشة ،
حتى انتهى من روايته ، فهتفت :

ـ ولكن الوقت قصير للغاية للعثور على رجل ، فى مدينة
نجهل معالمها يا (أدهم) .. إن هذه المهمة تكاد تكون
مستحيلة .

ابتسم ، وهو يهز كتفيه ، قائلا فى استهانة :

ـ إذن فهى مهمة مثالية لنا يا عزيزتى .

ثم أوقف سيارته فى منطقة هادئة ، وقال :

ـ هنا تبدأ مهمتنا .

سألته (منى) فى دهشة :

ـ هنا ؟!

أجابها فى هدوء :

ـ نعم يا (منى) .. هنا .. حيث اختفى وزير الخارجية

* * *



ثم أوقف سيارته فى منطقة هادئة ، وقال :

ـ هنا تبدأ مهمّتنا ..

٤ ـ من اللحظة الأولى ..

خفض رجل طويل القامة ، غليظ الملامح ، منظاراً مقرّبًا عن عينيه ، والتفت إلى فتاة باهرة الحسن ، تجلس على بعد خطوات منه ، وتنفث دخان سيجارة رفيعة ملوّنة فى استهتار ، وقال فى لهجة تشف عن الاهتمام :

ـ لقد توقّف سائح أمريكى وزوجته ، أو صديقته فى المنطقة (صفر) يا (سونيا) ، وهما يتأمّلان فى المكان فى اهتمام بالغ .

هزّت الحسناء ، التى لم تكن إلا (سونيا جراهام) ، فتاة (الموساد) الشرسة ، والخصم اللدود لبطلنا (أدهم صبرى) كتفيها فى استهتار ، وقالت فى سخرية :

ـ دعهم يتأملونه مائة عام ، فلن يقودهم غباؤهم أبدًا إلى معرفة السرّ .

اقترب منها شاب آخر وسيم الملامح ، وصبّ فى كأسها بعض الخمر ، وهو يبتسم قائلاً :

ـ أتظنين أنهما يبحثان عن سرّ اختفاء وزير الخارجية المصرى يا (سونيا) ؟

ابتسمت فى ثقة ، وقالت :

ــ ليس لدىَ أدنى شك ، فاختطاف الوزير مازال سرًّا ، ولا توجد أية آثار سياحية فى المنطقة ، فى أى شىء تظنهما يتأملان ؟

هزّ كتفيه بدوره ، وقال :

ــ ربّما كانوا من المخابرات المصرية .

مطّت شفتيها ، وقالت فى استهتار :

ــ ربّما ، ولكننى لم أعد أخشاهم ، بعد أن ألقوا رجلهم الأولَ فى السجن الحربى .

عقد الوسيم حاجبيه ، وغمغم :

ــ هل تقصدين (أدهم صبرى) ؟

لوّحت (سونيا) بكفها فى حنق ، وهى تقول :

ــ لا تذكر اسمه يا (دافيد) .. إننى أكره سماعه ، و ..

ثم عقدت حاجبيها ، وبترت عبارتها بغتة ، ثم التفتت إلى الرجل الغليظ الملامح ، وسألته فى اهتمام :

ــ أما زالا يقفان فى المكان ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وناولها المنظار المقرّب فى صمت ، فاختطفته من يده بحركة حادّة ، ووضعته على عينيها ، وهى تنهض للتطلّع من النافذة ، ولم تكد تنظر إلى (أدهم) و (منى) حتى ارتجف جسدها ، وغمغمت فى ذهول :

ــ هذا مستحيل !! ياللشيطان !! إنه هو !!

قفز (دافيد) من مقعده ، وصاح فى توتّر :

ــ (سونيا) .. لعلك لا تقصدين ..

قاطعته فى عصبية بالغة :

ــ إنه هو يا (دافيد) .. لقد أجاد التنكُّر كعادته ، ولكننى تعرّفته من النظرة الأولى .. وترافقه زميله اللعينة (منى) .. يا للشيطان !!

طوّحت المنظار المقرّب بعيداً ، وهى تستطرد فى توتُّر شديد :

ــ كيف وصل إلى هنا ؟ .. المعلومات التى وصلت إلينا عنه أخيرا لا تقبل الشك .. لقد حوكم ، وأدين ، ومن المفروض أنه يقضى الآن فترة عقوبته فى السجن الحربى ، ومن المفروض أيضا ألاّ يغادره إلاّ بعد عشر سنوات .. كيف ؟ . كيف ؟ ..

صاح (دافيد) ، وهو يلتقط المنظار المقرّب ، ويتأمّل بطلَيْنا فى قلق :

ــ ربما كانت خدعة من المخابرات المصرية و .

لوّحت بذراعها كله فى غضب ، وهى تصرخ .

ــ كلاَّ يا (دافيد) .. معلوماتنا مؤكّدة جدًا .. هناك سر يكمن خلف وجوده هنا الآن ..

قال الرجل الغليظ الملامح فى شراسة ، وهو يتناول بندقية تلسكوبية قريبة :

ــ هل أطلق عليه النار ؟

عادت تلوّح بذراعها ، وهى تقول فى عصبية :

ــ كلّا يا (شالوم) .. لا تلفت الأنظار إلينا .

ثم أردفت وهى تعض على شفتيها فى حنق :

ــ سأدبر أنا وسيلة أفضل للخلاص منه .. وسيلة سريعة ، وفعّالة .

* * *

تأملت (منى توفيق) المكان فى اهتمام ، ثم التفتت إلى (أدهم) ، قائلةً فى حَيْرة :

ــ مازال الأمر يبدو لى شديد الغموض يا (أدهم) ، فكيف اختفى وزير الخارجية فى مثل هذا المكان ، دون أن يترك أثراً ، ودون أن ينجح أحد فى العثور عليه . على الرغم من تطويق المنطقة بأكملها ، وبسرعة .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يتأمل فى المنطقة بدوره ، وغمغم :

ــ إنه لم يتلاش فى الهواء ولا شك يا (منى) ولابدّ من تفسير لكل هذا .

ولمحاُة لاحت على شفتيه ابتسامة ساحرة . فسألته (منى) فى فضول :

ــ هل توصّلت إلى شىء ما ؟

أجابها فى هدوء ساحر :

ــ نعم يا عزيزتى . توصّلت إلى أن أحدهم يراقبنا من منزل قريب ، باستخدام منظار مقرّب ، ولكنه لم ينتبه إلى أن ضوء الشمس ينعكس على عدسات منظاره ، فيلقى بريقا واضحًا .

قالت (منى) فى هدوء ، ودون أن تلتفت ، أو تنمّ ملامحها عن الدهشة :

ــ أين ؟

أجابها وهو يتجه إلى السيارة فى هدوء :

ــ سنذهب إليه معًا ياعزيزتى .

أدار محرك سيارته ، وهى تقفز إلى جواره ، قائلة فى دهشة :

ــ نذهب إليه ؟! . حذار من التهوُّر هذه المرّة ، فحركة واحدة خاطئة ، قد تفسد العملية كلها .

انطلق بالسيارة ، وهو يقول :

ــ لقد فسدت العملية بالفعل منذ اللحظة الأولى

يا عزيزتى ، وما أفعله الآن هو محاولة لرتقها فحسب .

ثم أردف فى سخرية :

ـ ثم إننى شديد الشوق لمعرفة من وراء هذه العملية القذرة .

* * *



٥ ـ الخائن ..

فركت (سونيا جراهام) كفيها فى عصبية ، وهى تنفث دخان سيجارتها فى توتر ، وتقول :

ـ لابد أن أفهم . أكاد أصاب بالجنون . ما الذى يعنى (أدهم صبرى) من أمر وزير الخارجية المصرى . ومادام لم بعد يعمل فى المخابرات المصرية ؟

أجابها (دافيد) فى عصبية مماثلة :

ـ ليس هذا هو المهم الآن يا (سونيا) . دعينا نفكر أولا فى كيفية التخلص منه ، قبل أن يفسد الأمر برمته

صاحت (سونيا) فى غضب :

ـ لا تخاطبنى هكذا يا (دافيد) ، ولا تنس أبدا أننى أفوقك رتبة .

فاجأهما صوت هادئ ساخر يقول :

ـ من ذا الذى يتحدث عن الرتب ؟

التفت الاثنان فى حدة إلى مصدر الصوت ، وتجمدت الدماء فى عروق (دافيد) فى حين عقدت (سونيا) حاجبيها فى عصبية ، فقد كان (أدهم) يقف هادئا أمام النافذة ، عاقدا ساعديه أمام صدره ، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة ، فهتفت (سونيا) ، وقد تغلب غضبها على دهشتها :

— لماذا أنت هنا يا (أدهم صبرى) ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— يا له من سؤال !! .. أما كان ينبغى أن تلقى التحية أولاً يا عزيزتى (سونيا) ؟

ضربت (سونيا) الأرض بقدمها ، وهى تكرر سؤالها فى غضب :

— ماذا تفعل هنا ؟ .. هل....؟

بترت سؤالها فجأة ، على نحو أثار ريبة (أدهم) ، وخاصة حينما ارتسمت ابتسامة ساخرة مفاجئة على شفتيها ، وهى تردف :

— إذن فأنت هنا .

لم تكد تتم عبارتها حتى شعر (أدهم) . بفوهة مسدس باردة تلتصق بمؤخرة رأسه ، وسمع صوتًا أجشّ يقول :

— هل أطلق عليه النار أيتها الزعيمة ؟

★ ★ ★

عرض رائع ذلك الذى أدّاه (أدهم صبرى) ، فى الثانية التى تلت عبارة (شالوم) ..

لقد غاص إلى أسفل ، ومال يسارًا ، ثم دار على عقبيه وهو

فى ذلك الوضع . وقفز فجأة عاليا . ودارت قدماه فى الهواء كالمروحة . ليطيح بالمسدس الذى يمسكه (شالوم) . ثم اندفعت قبضته كالقنبلة فى معدته . وقبل أن ينحنى (شالوم) من أثر الضربة . حطمت قبضة (أدهم) الأخرى فكه . فترنح الرجل . وحرّك ذراعيه فى الهواء وهو يرتطم بحاجز النافذة . وجحظت عيناه فى رعب . حينما كشف أنه سيسقط منها لا محالة . لولا أن قبض (أدهم) على قميصه فجأة . وجذبه إليه فى قوة . ثم طوح به جانبا . وهو يقول فى سخرية عجيبة :

— مهلا أيها الوغد . لست أحب أن أبدأ مفاوضاتى بقتل أحد المتفاوضين .

صاحت (سونيا) فى صرامة :

— لو أنك تظن أننى سأحررك بمكان وزير الخارجية . فأنت واهم .

ضحك (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— ليس هذا ما أسعى إليه يا عزيزتى (سونيا) .

وفجأة . انتزعت (سونيا) من حيث سرى فى ثوبها مسدسا . صوبته إلى (أدهم) . وهى تهتف فى شراسة :

— كيف تظن أنك ستنجو من رصاصات مسدسى .

ابتسم (أدهم) فى لامبالاة ، وقال :

ـ سأطلب من ملاكى الحارس أن ينقذنى يا عزيزتى (سونيا) .

غمغمت (سونيا) فى تهكم :

ـ ملاكك الحارس ؟ !

وفجأة جاء صوت (منى) من خلفها تقول :

ـ نعم يا أفعى (الموساد) . فملاكه الحارس يقف خلفك ، مصوّبًا مسدسه إلى رأسك الجميل ، المليء بالغرور والوحشية ، وسيفجّره لو تحرّكت سبابتك قيد أنملة على زناد مسدسك .

* * *

خيّم الصمت لحظة ، حاولت (سونيا) خلالها التغلب على ذهولها وحنقها ، ثم صاحت فى عصبية :

ـ سيقتل وزير خارجيتكما لو أصابنا مكروه .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى لهجة غاضبة أدهشت (منى) نفسها :

ـ فليذهب وزير الخارجية إلى الجحيم .. إننى لم آت من أجل هذا يا (سونيا) .

حدقت (سونيا) فى وجهه بذهول حقيقى ، وهى تغمغم بلهجة متلعثمة :

ـ لم تأت من أجله ؟! .. لِمَ أتيت إذن ؟

قبل أن يجيبها (أدهم) ، رفعت هى كفها أمام وجهه ، وصاحت :

ـ لحظة .. لو أن كل المعلومات التى وصلتنا سليمة ، فهذا يعنى أنك فررت من سجنك لسبب ما ، ولكن هذا يتعارض فى الوقت ذاته مع معرفتك بأمر وزير الخارجية ، الذى لايزال سرًا حتى هذه اللحظة . فما تفسير هذا التضارب العجيب ؟

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وقال :

ـ تفسيره أبسط مما يتصوّر عقلك المتشكك المريض يا (سونيا) .

ثم أشار إلى (منى) ، وهو يستطرد بالهدوء نفسه :

ـ لقد عاونتنى (منى) على الهرب ، ومنها علمت بأمر اختطاف وزير الخارجية ، فوجدت فى هذا الأمر فرصة للوصول إلى هنا ، والتفاوض معكم ، فقد كنت واثقًا من أنكم الدولة التى وراء ذلك .

عادت (سونيا) تعقد حاجبيها ، وهى تقول فى شك :

— تتفاوض معنا ؟! .. عن أى شىء تريد التفاوض بالضبط ؟

أجابها فى هدوء :

— أنا ؟!

هتفت (سونيا) فى دهشة :

— أنت ؟!

جاء صوت (أدهم صبرى) هذه المرة بطيئًا ، حازمًا ، وهو يقول :

— نعم يا (سونيا) . أنا .. لقد أتيت أعرض خدماتى على (الموساد) ، بل على أية جهة يمكنها أن تدفع الثمن .

شملت الدهشة الجميع ، حتى (منى) ، فى حين استطرد (أدهم) فى صرامة :

— ما رأيك يا (سونيا) ؟ .. إننى أعرض عليك خدمات رجل مخابرات محترف ، وأريد الجواب فورًا ، فورًا يا (سونيا) .

* * *

٦ — اللُّعبة ..

صمت ثقيل ذلك الذى ساد المكان كله ، حينما نطق (أدهم) بهذه العبارة ..

صمت يختلط فيه الشك بالدهشة ، ويمتزجان ، ويذوبان بعضهما فى بعض .

صمت قطعته (سونيا) ، صائحة :

— هذا لا يخدع طفلاً صغيرا يا (أدهم صبرى) .

قال (أدهم) فى صرامة :

— إننى لن أضيع الوقت فى مهاترات كلامية ، وتشكيك لا معنى له يا (سونيا) .. أمامك عرض محدود ؛ وأريد إجابة محدودة .

ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يردف :

— ولستم الجهة الوحيدة ، التى يمكننى تقديم مثل هذا العرض إليها ، فهناك منظمة (سكوربيون) و ....

قاطعته (سونيا) فى حِدَّة :

— قلت لك إنك لن تخدعنى .

اندفع فجأة (دافيد) يقول :

ــ لحظة يا (سونيا) .. عرضك يحتاج إلى بعض الوقت للتفكير يا سيد (أدهم) .

هزّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ــ هذا صحيح ، ولكننى أفتقد الصبر للانتظار .

أسرع (دافيد) يقول :

ــ لا بأس يا سيد (أدهم) .. سأبرق إلى قيادتنا على الفور ، وسأطلب منهم سرعة موافاتنا بالردّ .

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وقال :

ــ ولم لا ؟ .. هل يوافقك هذا يا (سونيا) ؟

همّت (سونيا) بالاعتراض فى حزم ، ثم راودتها فجأة فكرة عجيبة ، فابتسمت ابتسامة غامضة بدورها ، وغمغمت :

ــ ولِمَ لا ؟

ظلّ (أدهم) صامتا بضع لحظات ، ثم أجاب فى هدوء :

ــ حسنا .. أريد الجواب صباح الغد على الأكثر ، وإلّا يمكنكم اعتبار عرضى ملغًى .

بدت ابتسامة (سونيا) شديدة الغموض والخبث ، وهى تقول :

ــ ستحصل عليه يا سيّد (أدهم) . ستحصل على ما تستحق .

★ ★ ★

ظلّ (دافيد) و (سونيا) صامتين بعض الوقت ، بعد انصراف (أدهم) و (منى) ، ثم غمغم (دافيد) :

ــ سأبرق إلى الرؤساء .

أجابته (سونيا) ، وهى تشعل سيجارتها فى هدوء :

ــ افعل ما يحلو لك يا (دافيد) ، ولكننى سأتصرّف بأسلوب مختلف .

عقد حاجبيه .. وهو يسألها فى حَنَق :

ــ ماذا تعنين ؟

نفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، وقالت :

ــ لن يمكنك فهم (أدهم صبرى) كما أفهمه أنا .. إنه مخادع كبير ، ولكنه فى الوقت ذاته شديد الإخلاص لوطنه ، ومهما فعل به هذا الوطن ، فهو لن يفكّر فى خيانته قط .

صاح (دافيد) فى حِدّة :

— ربما كان هذا فيما سبق يا (سونيا) ، أمّا الآن بعد أن فصلوه وسجنوه ، فهو لن ...

قاطعته (سونيا) فى غضب :

— قد يكون هذا هو أسلوبك فى التفكير يا (دافيد) ، ولكنه ليس أسلوب (أدهم صبرى) أبدًا ..

ثم لوّحت بذراعها ، وهى تردف :

— لست أنكر وجود سرّ غامض خلف وجوده هنا . ولكنه ليس رغبته فى خداع دولته وخيانتها بأى حال من الأحوال .. إنه يلعب لعبة محكمة غامضة .

سألها (دافيد) فى توتّر :

— أية لعبة ؟

هزّت رأسها فى تفكير ، وقالت :

— لست أدرى بعد .. ربما كان يحاول إبهار المسئولين هناك ، باستعادته وزير الخارجية ، دون تكليف رسمى ، أو ..

بترت عبارتها ، وهى تبحث عن تفسير آخر ، ثم عقدت حاجبيها ، وهزّت رأسها فى قوّة وعناد ، قبل أن تستطرد فى حِدّة :

— المهم أنه يحاول خداعنا ولا شك .

عاد الصمت يسود بينهما لحظة ، ثم قال (دافيد) فى حزم

— هذا لن يمنعنى من إبلاغ عرضه للقيادة .

حرّكت كتفيها فى لامبالاة ، وقالت فى هدوء .

— فليكن . ولكننى لن أكون هنا حينما تتلقى عرضهم

ثم أردفت فى شراسة مباغتة :

— سأكون هناك . خلف (أدهم صبرى) . لأقتله .

* * *

جلست (منى) بادية القلق والتوتر ، إلى جوار (أدهم) ، فى كازينو أنيق ، يطلّ على ساحل البحر ، فى حين جلس هو حامد الملامح ، يحلّق ببصره فى البحر الواسع الممتد ، إلى أن قالت (منى) فى صوت يشفّ عن حيرتها وتوترها :

— الوقت يتناقص فى سرعة يا (أدهم) ، لقد انخفض الوقت الباقى إلى سبع وثلاثين ساعة فقط ، ونحن لم نفعل شيئًا حتى الآن .. ثم إننى مازلت أعانى الدهشة لما فعلت مع (سونيا) .

أجابها فى هدوء ، دون أن يلتفت إليها :

— كان لابدّ لى من أن أفعل ذلك يا (منى) .

سألته فى قلق :

ـ لماذا ؟ .. إن ظهورك على الشاشة قد يدفعهم إلى اختصار المهلة .

هزّ رأسه نفيًا فى هدوء ، وأجاب :

ـ هذا ما كنت أخشاه يا عزيزتى ، ولكن العرض الذى تقدّمت به إليهم سيربكهم ويحيرهم كثيرًا ، حتى أن أحدهم لن يقدم على مثل هذه الخطوة ، قبل أن يفهم حقيقة ما أرمى إليه بعرضى .

سألته فى توتر :

ـ هل تتصوّر أن (سونيا) ستصدّقك ؟

ابتسم وهو يعود إلى هز رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلّا يا عزيزتى ، ولكنها ستتردّد بعض الوقت ، وهذا ما أحتاج إليه .

تصاعدت حِدّة توتّرها ، وهى تقول :

ـ ولكننا نضيع هذا الوقت فى الجلوس أمام البحر .

مطّ شفتيه لحظة ، ثم نهض يستند إلى حاجز الكازينو ، المطلّ على البحر ، وقال :

ـ الأمر معقد للغاية يا (منى) ، والخطوة الأولى لنجاح

عمليتنا تعتمد بالضرورة على معرفة كيفية اختفاء وزير الخارجية ، وإلّا ظللنا طوال الوقت ندور فى حلقة مفرغة ، وهذا ما أحاول التوصُّل إليه أوّلاً .

نهضت تقف إلى جواره ، وتأملت البحر الممتد بدورها ، وهى تغمغم :

ـ هل تحاول تقليد (شيرلوك هولمز) ؟

ابتسم وهو يقول :

ـ ربما يا عزيزتى .. بل إننى أتمنى لو أنه كان شخصية حقيقية ، ليعاوننا على فهم حادث الاختطاف الغامض هذا .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم أردف هو :

ـ ولكننى لست أجد مانعًا من محاولة تقليد أسلوبه يا (منى) ، دعينا نسترجع تفاصيل حادث الاختطاف ، فربما قادنا هذا إلى شىء ما .

ابتلعت ريقها ، وقالت :

ـ حسنًا .. التفاصيل ليست كثيرة ، فقد كان وزير الخارجية يجلس فى المقعد الخلفى لسيارته ، ويقودها سائقه الخاص ، عندما انحرف السائق فجأة فى طريق جانبى ، وحينما لحق به رجال الأمن كانت السيارة خالية .

أكمل (أدهم) الأحداث ، قائلًا :

ــ وبسرعة تم تطويق المنطقة ، وتفتيشها بدقة بالغة و ...

بتر عبارته بغتة ، والتفت إلى (منى) يقول :

ــ هل تعتقدين أن الوقت الذى مضى ، ما بين انحراف السائق فى الطريق الجانبى ، ووصول رجال الأمن يكفى لانتزاع وزير الخارجية وسائقه من السيارة ، وإجبارهما على الاختفاء ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تسأله فى اهتمام :

ــ ماذا تعنى ؟

اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وهو يقول :

ــ أعتقد أن روح (هولمز) تعاوننا يا (منى) .. لقد توصّلت تقريبًا إلى الحل .



ــ أعتقد أن روح (هولمز) تعاوننا يا (منى) .

جذبته إليها فى لهفة ، وهى تهتف :

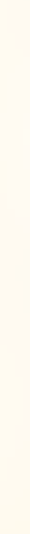
ــ ما الذى توصّلت إليه ؟

فى اللحظة نفسها ، التى حدثته فيها (منى) ، ارتطمت رصاصة خاجر الكاربو ، حيث كان يقف (أدهم) ، تمامًا ،

وهتف هو فى جدّة :

ــ يا إلهى .. لقد رفضوا العرض .

* * *



٧ ـــ وبدأ القتال ..

يُرجعُ البعض تفوُّق (أدهم صبرى) ، ونجاحه فى تجاوز كل المخاطر ، التى تواجهه بحكم عمله فى المخابرات ، إلى قدرة عقله الخارقة على استيعاب الأمور ، واتخاذ الخطوات الصحيحة المناسبة لدرء أى خطر يتعرَّض له ..

هذا بالضبط ما فعله (أدهم) فى هذه اللحظة

لم يكد يسمع صوت الرصاصة ، وهى ترتطم بالحاجز ، حتى تضافرت حواسه كلها لدرء الخطر ..

انتقلت عيناه فى سرعة إلى المكان الذى انطلقت منه الرصاصة ، وانتقلت إلى مخه صورة السيارة التى تقف أمام الكازينو ، والرجل الذى يمسك مسدّسه داخلها ، وأصدر المخ أوامره إلى العضلات والغدد ، فأسرعت الغدة فوق الكلوية تفرز كمية إضافية من مادّة الأدرينالين ، التى تدفّقت فى سرعة مذهلة عبر عروق (أدهم) إلى خلاياه ، فدفع (منى) جانبا ، ليقيها الإصابة من أية رصاصة أخرى ، وقفز عبر المائدة التى كانا يجلسان عليها منذ لحظات ، وانطلق كالصاروخ بين الموائد

الأخرى نحو السيارة ، التى أصيب قائدها بالفزع ، فأسرع يدير محرّكها ، وهو يصيح بالرجل الذى يمسك مسدّسه إلى جواره :

ـــ يا للشيطان !! .. أطلق عليه النار قبل أن يلحق بنا يا (جوزيف) .

أطلق (جوزيف) رصاصة أخرى ، ولكنها أخطأت (أدهم) ، الذى كان يندفع فى خط متعرّج بسرعة مذهلة ، وكأنما تحوّل إلى آلة للعدو والقنص ..

انطلقت السيارة فى سرعة ، محاولةً الإفلات من مطاردها ، ولكن (أدهم) قفز فجأة فى رشاقة عجيبة ، وتعلّق بنافذة السيارة الخلفية ، أمام عيون المارة المذهولين ، فصاح قائد السيارة فى ذعر :

ـــ اقتله يا (جوزيف) . لقد جذب إلينا هذا الشيطان أنظار الجميع .. اقتله .

أدار (جوزيف) فوّهة مسدّسه نحو (أدهم) فى ذعر مماثل ، ولكن جسد هذا الأخير انثنى فى رشاقة ، واندفعت قدماه تحطّمان زجاج النافذة ، وتطيحان بالمسدّس ، كل هذا والسيارة تنطلق بكامل سرعتها فى طرقات (أثينا) ..

وفجأة ، وقبل أن يدرى الرحلان كيف .. كان (أدهم) داخل السيارة ، فى المقعد الخلفى منها ، وانطلقت قبضته تحطّم فك (چوزيف) فى قوّة ، وهو يقول ساخرًا :

ـــ هل أدهشك هذا أيها الوغد ؟

ارتفع فى هذه اللحظة ذلك الصوت المميز لدرّاجات شرطة المرور البخاريّة اليونانية . وأصبح السائق يسيطر على سيارته فى صعوبة من شدة فزعه ، وهو يهتف :

ـــ إننى أستسلم .. الرحمة !!

صاح به (أدهم) فى صرامة :

ـــ انحرف إلى ذلك الطريق الجانبى ، وبسرعة ، وتوقّف هناك .

أطاع السائق فى خوف . وأوقف سيارته فى الطريق الجانبى . فقفز (أدهم) إلى المقعد المجاور له فى رشاقة ، وكأن فراغ السيارة الضيق قد تحوّل إلى بهو واسع . وقال للرجل فى لهجة صارمة مخيفة :

ـــ أبلغ (سونيا) أن غريمى مازال قائمًا ، على الرغم من محاولتها قتلى .

وأعقب عبارته بلكمة ساحقة على فك الرجل ..

وحينما وصل رجل المرور إلى المكان ، وجد السيارة متوقفة . وبداخلها رجلان تحطّم فكّاهما ، ولم يكن هناك أدنى أثر لـ (أدهم صبرى) ..

* * *

لم يكد (أدهم) ينطلق خلف السيارة المعتدية ، حتى أشعل (داڤيد) سيجارته ، داخل سيارة أخرى تنتظره على بعد أمتار ، وقال فى انفعال :

ـــ يبدو أنك كنت على حق يا (سونيا) ، لقد انطلق خلف السيارة ، وترك زميلته خلفه .

ابتسمت (سونيا) ، وقالت فى ثقة :

ـــ هذا لأننى أعرف (أدهم صبرى) أكثر مما تعرفه يا (داڤيد) ، بل أكثر مما يعرفه أى مخلوق آخر فى العالم كله ، ولقد توقعت نجاته من محاولة القتل بنسبة تتجاوز الثمانين فى المائة ، وأعددت خطتى على هذا الأساس .

نفث دخان سيجارته ، وقال :

ـــ هل نلتقط الصيد الآن ؟

أجابته ، وقد بدأ الحماس يملأ عروقها :

ـــ نعم .. قبل أن يعود ذلك الشيطان .

ثم ابتسمت فى دهاء ، وهى تستطرد :

ــ وعندئذ فقط يمكننا التفاوض مع (أدهم صبرى) .

★ ★ ★

وقفت (منى) تتطلع فى قلق إلى حيث اختفى (أدهم صبرى) مع السيارة ، ولم تشعر بسيارة (سونيا) و (دافيد) وهى تتوقف خلفها ، حتى سمعت صوت (سونيا) تقول فى سخرية :

ــ هل تتوقعين عودته ؟

استدارت (منى) فى حدة ، ولكن فوهة مسدس (دافيد) الباردة التصقت بجانبها ، وسمعت صوته الصارم يقول :

ــ هذا المسدس مزوّد بكاتم للصوت ، وعند أية حركة غير مستساغة سأطلق النار بلا تردُّد .

شعرت (منى) بالغضب ، وقالت فى حدة :

ــ لن يغفر لكما (أدهم) هذا .

أطلقت (سونيا) ضحكة ساخرة ، وقالت وهى تدفعها إلى السيارة :

ــ فليفعل ما يحلو له ، المهم أن يأتى إلينا أولاً .

انطلقت السيارة فى اللحظة نفسها ، التى ظهر فيها (أدهم) ، وهو يتقدم نحو الكازينو فى خطوات سريعة ، وتلفت حوله لحظة ، وهو يسأل أحد القائمين على الخدمة هناك .

ــ أين ذهبت رفيقتى ؟

أجابه الرجل ، وهو يتأمل ملامحه فى قلق :

ــ لقد اصطحبها رجل وسيم ، وفتاة باهرة الحسن فى سيارة سوداء و .....

قاطعه (أدهم) فى توتُّر :

ــ كيف تركتهما يفعلان ذلك ؟

ارتجف الرجل فى خوف ، وهو يتذكّر أسلوب (أدهم) فى التعامل مع السيارة المعتدية ، وأجاب فى صوت مرتجف متلعثم :

ــ كيف يمكننى ؟ .. أعنى ليس لدى الحق فى ....

مرة أخرى قاطعه (أدهم) فى حَنَق :

ــ يالك من أحمق !!

ثم انطلق يعدو نحو سيارته ، وانطلق بها فى سرعة مخيفة .

★ ★ ★

تطلعت (سونيا جراهام) إلى ساعتها ، ونفثت دخان سيجارتها فى هدوء ، وهى تقول فى سخرية :

ـ عجبًا !! نصف ساعة حتى الآن ولم يصل (أدهم صبرى) بعد .

ابتسم (دافيد) ابتسامة قلقة مضطربة ، إثر سماعه اسم (أدهم) ، فى حين زمجر (شالوم) فى عصبية وغضب ، وهو يتحسس الضمادات التى تغطى وجهه ، وجذب سوستة المسدس الأوتوماتيكى ، الذى يمسكه بيده ، وهو يغمغم فى حنق :

ـ كم أتمنى رؤيته ؟

أشارت (سونيا) بكفها ، وقالت فى لهجة آمرة :

ـ إنك لن تطلق عليه النار يا (شالوم) ، لابد أن يذوق (أدهم) طعم الهزيمة هذه المرة ، قبل أن يلقى حتفه .

زفر (دافيد) فى ضيق ، وقال :

ـ وماذا لو أنه كان صادقًا فى عرضه يا (سونيا) ؟ .. ألا يُضيع علينا أسلوبك هذا فرصة كبرى .

صاحت (سونيا) فى عصبية :

ـ أية فرصة ؟

أجابها (دافيد) فى عصبية مماثلة :

ـ فرصة ضم رجل مثله إلى مخابراتنا .

مطّت (سونيا) شفتيها ، وهى تقول فى امتعاض :

ـ يالك من أبله أحمق !! .. هل صدّقت لحظة واحدة أن (أدهم صبرى) يمكنه أن يعمل فى (الموساد) ؟

قبل أن يجيب (دافيد) بكلمة واحدة ، ارتفع صوت طرقات عصبية على باب الحجرة ، فقفزت (سونيا) من مقعدها ، وهتفت فى همس :

ـ إنه هو .. لقد جاء كما توقّعت .

قفز (شالوم) نحو باب الحجرة ، وعضّ على أسنانه ، وهو يقول فى حَنَق :

ـ سأقتله .. سأطلق عليه النار عَبْر الباب .

صاحت (سونيا) فى غضب :

ـ حَذارِ أن تفعل .

لم يكن هناك مبرّر لتحذير (سونيا) ، فلم تكد تتم عبارتها حتى اندفع باب الحجرة بغتة ، ليرتطم بـ (شالوم) فى قوّة ، وقفز (أدهم) داخل الحجرة ، وركل مسدّس (شالوم) فأطاح به جانبًا ، وانطلقت قبضته اليسرى تغوص فى معدة هذا

الأخير ، ثم اندفعت قبضته اليمنى إلى فكه ، فترنح (شالوم) ، وسقط أرضًا ، وقد عادت الدماء تلوث ضماداته ، فاختطفت (سونيا) مسدسها ، وصوّبته إلى (أدهم) ، وهى تصرخ فى غضب :

ـ أنت الذى أردت هذا يا (أدهم) .

وأطلقت النار .

* * *



٨ ـ العرض ..

اخترقت رصاصة (سونيا) كاتم الصوت ، الذى تزوّد به مسدسها الصغير ، وانطلقت نحو قلب (أدهم) تمامًا ، ولكن (أدهم) مال جانبًا فى سرعة مذهلة ، وغاص إلى أسفل ، ثم اندفع نحو (سونيا) ، وقبض على معصمها فى قوّة فولاذيّة ، فأجبرها على ترك المسدّس ، والتقطه فى خفة ومهارة ، وقفز خطوة إلى الوراء ، وصوّب مسدسه إلى (سونيا) و (دافيد) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أين (منى) يا (سونيا) ؟

ارتجف (دافيد) ، وهو يرفع ذراعيه مستسلمًا ، فى حين صاحت (سونيا) فى مزيج من الغضب والألم ، وهى تمسك معصمها :

ـ لن تستعيدها أبدًا .

جذب (أدهم) إبرة مسدّسه ، وصاح فى غضب حازم :

ـ هل تحبين أن أزين رأسك الجميل برصاصة صغيرة يا (سونيا) ؟

صاحت سونيا فى صلابة .

— أتحداك أن تفعل يا سيد (أدهم) ، وستفقد زميلتك إلى الأبد .

أطل الغضب قويًا من عينى (أدهم) ، حتى أن الدماء كادت تتجمد فى عروق (دافيد) ، وهو يسمع (أدهم) يقول :

— إنك تضيعين الفرصة الوحيدة لتحويل عداوتنا إلى صداقة يا (سونيا) .

ابتسمت (سونيا) فى سخرية ، وقالت :

— الأسود لا تتحالف أبدًا مع الذئاب يا (أدهم) ، فلا تحاول مواصلة خداعك .

صاح (أدهم) فى غضب :

— أى خداع هذا يا (سونيا) ؟ .. هل تتصوّرين أننى سأستمرّ فى العمل من أجل دولة ألقت بى فى السجن ؟ .. هل تتصوّرين أن أحتفظ بولائى لها بعد كل هذا ؟

تردّدت (سونيا) لحظة ، أمام لهجته الغاضبة ، وساورها الشك فيما تعتقده من خداع (أدهم) ، ثم لم يلبث عنادها أن عاودها ، فهتفت :

— نعم .. إننى أتصوّر كل هذا ، ولا أتصوّرك خائنًا لدولتك .

عند هذه النقطة وجد (دافيد) لديه الشجاعة ليقول :

— مهلاً يا (سونيا) .. ربّما .....

قاطعته فى حِدّة :

— صه يا (دافيد) .. إنك لا تعرفه مثلى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— هذا ما تتصوّرينه أنت يا (سونيا) ، بكل غطرستك وغرورك .

ضاقت حدقتا (سونيا) ، وهى تتأمله فى إمعان ، ثم قالت فى صرامة :

— وما الذى يضمن لنا أنك صادق ؟

سألها فى هدوء ، وهو يخفض فوّهة مسدّسه :

— ما الضمانات التى تطلبينها يا (سونيا) ؟

باغتها سؤاله لحظة ، وكأنها لم تكن تتوقّعه ، ثم عادت تعقد حاجبيها ، وتقول فى تحدّ :

— أن تبتعد عن عملية وزير الخارجية تمامًا .

ظلّت ملامح (أدهم) جامدة لحظة ، ثم أجاب فى صوت عميق :

ـ أريد (منى) أولاً .

ابتسمت (سونيا) فى دهاء ، وقالت :

ـ هذا هو عرضى يا سيِّد (أدهم) ، وأنا أترك لك حرِّيَة الاختيار ، فإما زميلتك ، أو وزير الخارجية .

ساد الصمت لحظة ، وكأن (أدهم) يفكر فى عرضها ، ثم قال فى هدوء :

ـ وماذا لو أننى قبلت عرضك ؟

تنهَّدت فى ارتياح ، وقالت فى خبث :

ـ فى هذه الحالة سأسلمك زميلتك فى منتصف الليل ، فى معبد (البارثينون) الأثرى ، على أن تغادرا (أثينا) معًا ، حتى ينتهى أمر وزير الخارجية .

بدت ملامح (أدهم) جامدة كتمثال من الرُّخام ، وخرج صوته من بين شفتيه باردا كالثلج ، وهو يقول فى برود :

ـ حسنًا يا (سونيا) .. موعدنا فى منتصف الليل تمامًا .

* * *

ظلَّ (دافيد) يرتجف دقيقة كاملة ، بعد انصراف (أدهم) ، وبذل جهدًا خارقًا ، ليقول فى صوت أجش مختنق :

ـ هل ستسلمينه رفيقته حقًا ؟

أجابته (سونيا) فى هدوء :

ـ نعم .. وسأعمل على أن يغادرا (أثينا) معًا .

بحث عبثًا عن لعابه ليزدرده ، وهو يقول :

ـ إذن فقد اقتنعت بعرضه .

ابتسمت فى سخرية ، وقالت :

ـ أنا أقتنع بعرض (أدهم) ؟ هل تظننى حمقاء ؟

حدَّق فى وجهها بدهشة ، وغمغم فى ارتباك :

ـ ولكنك قلت .....

قاطعته فى صرامة :

ـ قلت إننى سأسلمه رفيقته الحبيبة ، وسأعمل على أن يغادرا (أثينا) معًا .

ثم ضحكت فى مزيج من الخبث والشراسة ، وهى تقول :

ـ ولكننى لم أقل أين أنوى إرسالهما .

التبس الأمر فى ذهن (دافيد) لحظة ، ثم عقد حاجبيه ، وهو يسألها :

ـ ماذا تعنين ؟

ضحكت فى سخرية ، وقالت :

ــ سأسلّم (أدهم صبرى) زميله فى منتصف الليل حقًا فى (البارتينون) (*) وما أن يضع يده عليها . حتى أرسلهما معًا إلى الجحيم .

وأعقبت قولها بضحكة عابثة فى الرّقة . اشتم فيها (دافيد) رائحة سمّ الأفعى .



(*) (البارثينون) المعبد الأكبر فى منطقة (الأكروبول) السياحية فى (أثينا) . وقد أقيم للإلهة (أثينا) على الطراز الدورى . وكله من الرخام . وقد تم بناؤه بواسطة المهندسين المعماريين (إكتينوس) و (جاليكراتس) فى المدة ما بين ٤٤٧ و ٤٣٨ ق . م وقديما كان بداخله تمثال من العاج والذهب يمثل (أثينا) نفسها .

٩ ــ لقاء فى الأكروبول ..

تألق البدر كاملا فى سماء خالية من الغيوم فى تلك الليلة . واشترك ضوءه الهادئ مع أعمدة المعبد الأثرى القديم فى صنع مجموعة من الظلال الممتدة . وأضفى جو شاعرى عجيب على مكان اللقاء . ولكن قطرة من هذه الشاعرية لم تنجح فى التسلل إلى قلب (أدهم) . الذى انزوى فى ظلّ أحد الأعمدة . وأخذ يتطلّع إلى عقارب ساعته فى اهتمام ..

كانت عقارب الساعة تقترب فى بطء من منتصف الليل تماما . وشعر (أدهم) أن دقات قلبه اختلطت بعقرب الثوانى الصغير . وهو يدور دورته الأخيرة نحو الهدف . فغمغم فى قلق :

ــ ترى هل تصدق (سونيا) فى وعدها هذه المرّة ؟

لم يكد يتم عبارته . حتى تناهى إلى مسامعه صوت درّاجة بخارية تقترب على مبعدة . فقطّب حاجبيه . وهو يرسل بصره إلى الطريق البعيد . وتابع فى اهتمام الدرّاجة البخارية . وهى تقترب من المعبد . وتحسس مسدّسه بحركة غريزية . حينما رآها تتوقّف . ورأى رجلا يهبط منها . ويقترب فى رشاقة من المعبد الأثرى

انتزع (أدهم) مسدسه فى هدوء ، ودسّه فى فراغ مستطيل ، نحتته الطبيعة فى كتلة صخرية أثرية مجاورة ، ودسّ كفّيه فى جيبى سترته ، ووقف هادئًا ، ينتظر وصول الرجل ..

لم يكد الرجل يقترب حتى تعرّفه (أدهم) ، بسبب الضمادات الكثيرة التى تغطى وجهه ، فابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !! .. وجهك العكر يفسد جمال الطبيعة هنا يا (شالوم) .

زمجر (شالوم) فى غضب ، ورفع فوّهة مسدسه فى وجه (أدهم) ، وهو يقول بصوته الأجش الغليظ :

ـ أنت حسن الحظ أيها الشيطان المصرى ، فلولا أوامر (سونيا جراهام) لأفرغت رصاصات مسدسى فى صدرك .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

ـ بل أنت الحسن الحظ أيها الوغد ، فلولا رغبتى فى استعادة زميلتى لحطّمت البقية الباقية من وجهك البغيض .

انتفض جسد (شالوم) غضبًا ، وهو يعض على شفتيه ، مزمجرًا :

ـ إنك تغرينى بتجاهل الأوامر أيها الشيطان

عقد (أدهم) حاجبيه فى صرامة ، وقال بصوت بارد :

ـ أين (منى) ؟

أجابه (شالوم) فى حِدّة :

ـ ستأتى بها (سونيا) ، بعد أن أتأكد من أنك لا تعدّ لنا فخًا .

أطلق (أدهم) ضحكة هازئة ، وقال :

ـ عجبًا !! .. لقد راودتنى الفكرة نفسها عكم ، وأنا فى طريقى إلى هنا .

عقد (شالوم) حاجبيه فى غضب ، وقال فى صرامة :

ـ أعطنى سلاحك .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ لست أحمل سلاحًا .

حدّق (شالوم) فى وجهه بتشكك ، وقال :

ـ لا تحاول خداعى أيها الشيطان .. أنت لست بالغباء الذى ..

قاطعه (أدهم) ، وهو يرفع ذراعيه فى هدوء :

ـ يمكنك تفتيشى .

لم يتردّد (شالوم) لحظة فى تفتيشه ، وأدهشه أن



ـ أين (منى) ؟
لم يكد يتم تساؤله حتى بدا صوت هليوكوبتر تقترب ..

(أدهم) لم يكن يحمل سلاحًا حقًا ، فقلب شفتيه ، وهو يقول في سخرية :

ـ لم أتصوّرك بمثل هذا الغباء يا شيطان المخابرات المصرية .

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة سريعة ، ثم عادت ملامحه تتجهم ، وهو يسأل في صرامة :

ـ أين (منى) ؟

لم يكد يتم تساؤله حتى بدا صوت هليوكوبتر تقترب ، وسرعان ما عبرت أمام قرص القمر العاجى المضىء ، فأشار إليها (شالوم) ، وقال في غلظة :

ـ ها هى ذى .

ثم أردف ، وهو يبتسم في سخرية :

ـ لقد اقتربت النهاية أيها الشيطان .

* * *

لم يتحرّك (أدهم) قيد أنملة ، حينما هبطت الهليوكوبتر على قيد أمتار قليلة منه ، ولا عندما أطلّ منها وجه (سونيا جراهام) بابتسامتها الشامتة الساخرة ، ولكن قدميه دفعتاه دفعًا إلى الأمام ، حين برز خلفها وجه (منى) ..

تحرّك (أدهم) في خطوات سريعة نحو الهليوكوبتر .

والتقط (منى) التى قفزت بين ذراعيه ، وسألها فى اهتمام بالغ :

ــ أأنت بخير يا عزيزتى ؟

أجابته (منى) فى حرارة :

ــ نعم يا (أدهم) .. نعم .

أطلقت (سونيا) ضحكة عصبية ساخرة ، وقالت فى لهجة لم تستطع إخفاء نبرات الغيرة الواضحة فيها :

ــ يا له من مشهد مؤثر !!

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ ويا لك من رقيقة المشاعر يا (سونيا) !!

أغضبتها السخرية الواضحة فى نبراته ، فعقدت حاجبيها وهى تقول :

ــ نعم يا (أدهم) ، وسأعمل جاهدة على إضافة اسميكما لسجل العشاق ، الذين قتلهم الحب .

مع آخر حروف كلماتها ، سمع (أدهم) من خلفه صوت إبرة مسدس (شالوم) تستعد للإطلاق ، فالتفت إليه فى بطء ، ورأى الكراهية تطل من عينى هذا الأخير ، وهو يرفع مسدسه على امتداد ذراعه ، ويصوبه إليه وإلى (منى) وعندما

عاد بعينيه فى استهتار إلى (سونيا) ، وواجهته فوهة المدفع الرشاش الذى تحمله ، وسمعها تقول فى شراسة :

ــ عانق زميلتك يا (أدهم صبرى) .. إنها محطتكما الأخيرة ، فاحرصا على الموت كعاشقين .

* * *

١٠ ــ بين شِقّى الرَّحى ..

تصوّرت (منى) لجزء من الثانية أنها النهاية حقًا . فقد كانت هى و (أدهم) بين شقّى الرحى ، ما بين مسدّس (شالوم) ، ومدفع (سونيا) الرّشاش . ولكن هذا التصوّر لم يدم لأكثر من هذا الجزء من الثانية ..

ثم تحرّك (أدهم صبرى) ..

تحرّك فى خفة ، وسرعة ، ومهارة ، وحسم كعادته ..

استوعب عقله تفاصيل الموقف كله فى جزء من الثانية ، وتحرّك جسده فى جزء آخر ..

قفزت قدمه فجأة ، تركل المدفع الرشاش من يد (سونيا) ، ثم انحنى وهو يدفع (منى) أمامه ، ليتفاديا رصاصة صامتة من مسدّس (شالوم) المزوّد بكاتم للصوت ، وترك يد (منى) لينطلق بغتة نحو هذا الأخير ..

قبل أن يستعد (شالوم) لإطلاق رصاصته الثانية ، وجد (أدهم) أمامه ، ووجد مسدّسه يطير فى الهواء ، ثم اختفى قرص القمر من أمام عينيه مع لكمة قوية هبطت على أنفه

كالقنبلة ، وميّز فى صعوبة صوت (أدهم) الساخر ، وهو يقول .

ــ يبدو أنك أدمنت لكماتى أيها الوغد .

قفزت (سونيا) تلتقط مدفعها الرشاش ، الذى سقط داخل الهليوكوبتر ، وعادت تصوّبه إلى (أدهم) و (منى) ، ولكنها توقّفت فى دهشة ، فقد بدت لها أعمدة (البارثينون) صامتة ، ساكنة ..

دارت (سونيا) بعينيها فى المنطقة بغضب ، ثم هتفت محنقة :

ــ لا تحاول الاختفاء يا (أدهم) . لست وحدى هنا ، فـ (البارثينون) كله محاصر برجالنا .

إثر كلمتها ظهر عشرة رجال يحملون المدافع الرشاشة ، ويحيطون بالمعبد اليونانى القديم ، فى حين أردفت (سونيا) فى شراسة :

ــ هذه المرّة لابد أن تستسلم يا (أدهم صبرى) .. لابدّ .

★ ★ ★

التصقت (منى) بـ (أدهم) خلف أحد الأعمدة الرخامية العديدة ، وهمست فى قلق :

ـ لقد أحاطوا بنا يا (أدهم) ، ماذا نفعل ونحن عزّل من السلاح ؟

ربّت على كتفها فى هدوء ، وهو يقول :

ـ ومن أدراك أننا كذلك يا عزيزتى ؟

همست (منى) فى توتر :

ـ لا تطمئننى فحسب ، فلقد أرسل (شالوم) إلى (سونيا) رسالة لاسلكية سرّيّة ، أعلن بها عدم وجود أى نوع من الأسلحة معك .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وتمتم وكأنه يحادث نفسه :

ـ إذن فـ (سونيا) تظنّ ذلك .

هتفت (منى) فى صوت هامس :

ـ بل هى واثقة من ذلك .

جاء صوت (سونيا) مؤكدًا لقولها ، وهى تهتف :

ـ لقد عثرت على مسدّس (شالوم) يا (أدهم) ، ومازال مدفعى الرشاش فى يدى ، ورجالى يضيقون الخناق حولك ، وأنا أعلم أنك أعزل ، والأفضل لك أن تستسلم .

ازداد انعقاد حاجبى (أدهم) ، وكأنه يفكّر فى عمق شديد ، ثم هتف فجأة :

ـ مرى رجالك بألا يطلقوا النار حين أستسلم يا (سونيا) ، حتى يبتّ رؤساؤك فى أمرى على الأقل

تألقت عينا (سونيا) فى شراسة ، وهى تقول :

ـ لك هذا يا (أدهم) .

انحنى (أدهم) على أذن (منى) ، وهمس فى لهجة آمرة :

ـ عندما تنطلق أول رصاصة ، انطلقى بكل ما لديك من سرعة نحو الدرّاجة البخارية .

هتفت (منى) :

ـ لن أتركك وحدك .

صاح بها فى صرامة وحزم :

ـ أطيعى الأمر وإلاّ فتكت بنا تلك الأفعى معًا .

ترقرقت عينا (منى) لحظة بالدموع ، ولكنها أومأت برأسها فى استسلام ، فابتسم هو فى ارتياح ، وربّت على وجنتها ، مغمغمًا فى حنان :

ـ سننجو معًا ـ بإذن الله ـ يا (منى) .

ثم تحرّك من خلف العمود الرخامى ، ووقف أمام (سونيا جراهام) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ هأنذا .

* * *

ارتجف جسد (سونيا) من فرط الانفعال ، حينما رأت (أدهم) يقف أمامها مستسلمًا ، فصاحت وهى ترتعد :

ـ أطبقوا عليه يا رجال .

أسرع رجالها العشرة من كل صوب ، وأحاطوا بـ (أدهم) ، وهم يصوّبون إليه فوّهات مدافعهم الرشاشة ، وصاحت (سونيا) فى توتر :

ـ لقد وقعت أخيرًا يا (أدهم صبرى) ، هل تظن أنه يمكنك التغلب على عشرة رجال ، مسلحين بالمدافع الرشاشة ، وأنت أعزل ؟

أجابها فى هدوء ، وبلهجة واضحة الصدق :

ـ كلّا .

تنبهت (سونيا) فى تلك اللحظة إلى أن (منى) مازالت تختفى خلف العمود الرخامى ، فصاحت فى عصبية :

ـ أين زميلتك ؟ .. أريد رؤيتها فى وضوح .

مدّ (أدهم) يده ، وكأنه يهم بجذب (منى) إلى مجال رؤية (سونيا) ، ولكن يده انتقلت فى خفة مذهلة إلى ذلك الفراغ المستطيل ، الذى أخفى فيه مسدسه مسبقًا ، وانتزع المسدس من مكمنه ، وأطلق منه رصاصة سريعة مباغتة ، أطاحت

بالمدفع الرشاش ، الذى تمسك به (سونيا) ، وهو يصيح فى لهجة آمرة :

ـ الآن يا (منى) .

انطلقت (منى) تعدو كالصاروخ فوق النتوءات الصخرية ، نحو الدرّجة البخارية ، وقد ارتجف قلبها فى قوة ، فخلفها ارتفع صوت المدافع الرشاشة ، وتحوّل المعبد الأثرى إلى ساحة قتال ..

* * *

١١ ـ معبد النيران ..

لو أن آلهة الأساطير الإغريقية القديمة كانت حقيقية ، لتوقفت كلها مشدوهة أمام ما حدث فى معبد (أثينا) إلٰهة الحكمة فى تلك الليلة ..

كانت (ديانا) إلٰهة القمر ستتوقف ، وتزداد سطوعًا ، لتضيء ساحة المعركة للمتصارعين .

وكان (مارس) إلٰه الحرب سيرفع حاجبه فى دهشة ، ويهتف وهو يشير إلى (أدهم) فى إعجاب :

ـ هذا هو المقاتل الذى أريده .

أما (ميركيورى) رسول الآلهة ، فكان سيهرع إلى كبيرهم (زيوس) ، لينقل إليه أنباء ما يحدث . فيرفع (زيوس) كفه فى عظمة ، ويقول فى صوت قوى :

ـ فليضم اسم هذا المصرىّ إلى سجل الأساطير .

فقد كان (أدهم) فى هذه الليلة حقًا أسطورة

لقد انتزع مسدسه من مخبئه ، وأطلق رصاصه الأولى على مدفع (سونيا) الرشاش ، ثم دار على عقبيه ، وأطلق رصاصتين متعاقبتين سريعتين على اثنين من رجالها ، وقفز قفزة عالية ،

رهيبة ، تجاوز بها الرجال الثمانية الباقين ، الذين أطلقوا رصاصات مدافعهم الرشاشة حيث كان يقف ، فأصابوا ثلاثة منهم برصاصاتهم ، وحينما التفت الخمسة الباقون نحو (أدهم) ، انقض عليهم كالإعصار ..

إعصار مدمر قوىّ ، لا يُبقى ولا يذر ..

حطمت قبضته فك أحد الرجال الخمسة ، وأخرجت الأخرى ثانيًا من المعركة ، وأرسلت قدمه الثالث إلى غيبوبة طويلة ، ثم اشترك كفاه فى انتزاع مدفعى الرجلين الباقين

توقفت (سونيا) لحظة مشدوهة ، ثم أدارت عينيها بعيدًا عن (أدهم) ، الذى يقاتل رجالها ، وتابعت فى حنق (منى) ، التى كانت تسرع نحو الدرّاجة البخارية ..

ولسبب عجيب ، قد يفسره البعض بأنه وليد الغيرة ، تجاهلت (أدهم) تمامًا ، وأسرعت تلتقط مدفعها الرشاش ، وتطلق نيرانه خلف (منى) ..

زادت سرعة عدو (منى) ، مع سيل الرّصاصات الذى انهمر خلفها ، وقفزت فوق الدرّاجة البخارية ، وأدارت محرّكها فى سرعة وتوتر ، وانطلقت بها مبتعدة ، وصرخت (سونيا) فى غضب هادر ، وانطلقت تحمل مدفعها الرشاش

إلى الهليوكوبتر ، وأدارت مراوحها القويّة ، وقد أقسمت هذه المرّة على تحطيم قلب (أدهم) ، بقتل زميله .

بقتل منى .

* * *

انطلقت قبضة (أدهم) اليمنى تحطّم فك أحد الرجلين الباقيين ، من رجال (سونيا) العشرة ، ثم ارتكز بجسده كله على أطراف أصابع قدمه اليمنى ، ودارت ساقه اليسرى في الهواء كالمروحة ، لتركل قدمه وجه الرجل الأخير ، قبل أن تتبعها اليمنى لتضع حدًّا للصراع ..

سقط الرجال العشرة تحت قدمى ضابط المخابرات المصرى ، الذى أدار عينيه فى لهفة ، ليتأكد من نجاة زميلته ..

ورأى (أدهم) درّاجة (منى) البخارية تبتعد ..

ورأى الهليوكوبتر ، التى تقودها (سونيا) ترتفع عن الأرض ..

وفهم (أدهم) الأمر بسرعة ..

وانطلق ..

انطلق نحو الهليوكوبتر ، التى كانت ترتفع عن الأرض فى سرعة ، وقفز يتعلّق بها .. واختلّ توازن الطائرة المروحية ،

عندما تعلّق بها (أدهم) . ولكن مهارة (سونيا) فى القيادة ، وقوّة أعصابها ، عاوناها على استعادة توازنها فى سرعة . وهى تهتف فى غضب ، وعصبية بالغين :

ـــ لا يا (أدهم صبرى) .. ليس فى كل مرّة .

وارتفعت بالهليوكوبتر فجأة ـــ فى سرعة وقوّة ـــ إلى أعلى ، ودارت بها حول نفسها دورة أفقية كاملة . ثم مالت بها يمنةً ويسرةً فى عنف . ولكنها لم تنجح فى التخلص من (أدهم صبرى) الذى تيبّست قبضتاه حول القائم المعدنى . الذى يتعلّق به أسفل الهليوكوبتر . وهنا صرخت (سونيا) :

ـــ أيّها الشيطان .

وهبطت بغتة بالهليوكوبتر ، وهى تستدير عائدة إلى (البارثينون) ..

كانت تنطلق بسرعة حتى أن (منى) أوقفت الدراجة البخارية ، وتطلّعت فى رعب إلى جسد (أدهم) المدلى من الهليوكوبتر ، التى انخفضت حتى أصبحت تندفع نحو سطح المعبد تقريبًا ..

وفجأة فهم (أدهم) و (منى) فى لحظة واحدة ما ترمى إليه (سونيا) ..

لقد كانت تنوى تحطيم جسد (أدهم صبرى) ، فوق أعمدة (البارثينون) الرخامية ..

* * *

كان هذا أصعب المواقف فى حياة (أدهم) الحافلة على الإطلاق ..

كانت الهليوكوبتر تنطلق بسرعتها القصوى نحو المعبد ، وارتفاع المكان يزيد على خمسة عشر مترًا ، وأسفله تناثرت كتلات صخرية حادة غير منتظمة ، والأعمدة الرخامية صلبة قاسية لا ترحم ، ولم تكن النجاة من الارتطام هى المشكلة الوحيدة التى تواجه (أدهم) ، بل كانت مشكلته الكبرى هى ألا يترك الهليوكوبتر ، وإلّا استدارت (سونيا) إلى (منى) وأفرغت رصاصات مدفعها الرشاش فى جسدها .

كان عليه أن يحاول النجاة ، وأن يظلّ متعلّقًا بالهليوكوبتر فى الوقت ذاته ..

كان هذا هو القرار ، الذى استقرّ عليه عقل (أدهم) ، وهو يقترب فى سرعة مخيفة من الأعمدة الرخامية ..

وفجأة اشتعلت عضلات جسد (أدهم صبرى) كلها بالنشاط والقوّة ، وتحوّلت قبضتاه ، الممسكتان بالقائم المعدنى

أسفل الهليوكوبتر ، إلى كلاّبتين من الفولاذ ، ودفعت عضلات ذراعيه جسده إلى أعلى ، ولهثت عضلات بطنه ، وهى تثنى جسده وترفع ساقيه ، حتى التصق بباطن الهليوكوبتر بجسده كله ، فصارا كجسد واحد ، وعبرت الهليوكوبتر على ارتفاع سنتيمترات قليلة من سقف المعبد الرّخامىّ ، دون أن يرتطم به جسد (أدهم) ، وصرخت (سونيا) فى غيظ وقهر :

— يا للشيطان !!

وفى غمرة جنونها ارتفعت بالهليوكوبتر عاليًا فى حِدَّة ، وتركت عصا القيادة ، واختطفت مدفعها الرشاش ، وأطلقت رصاصاته على باطن كابينة القيادة .. حيث يلتصق جسد (أدهم) تمامًا ، وأطلقت (منى) صرخة لوعة قوية ، حينما رأت (أدهم) يترك القائم المعدنى ، ويسقط من ارتفاع عشرة أمتار ، فوق سقف المعبد الأثرى القديم ..

معبد الإلٰهة (أثينا) ..

* * *



وأطلقت (مى) صرخة لوعة قوية ، حينما رأت (أدهم) يترك القائم المعدنى ، ويسقط من ارتفاع عشرة أمتار فوق سقف المعبد الأثرى القديم .

١٢ ــ آخر المحاربين العظماء ..

لو قدر لـ (هوميروس) ، مؤلف الملحمتين الخالدتين (الإلياذة) و (الأوديسا) ، أن يمتد عمره حتى يشهد ملحمة معبد (أثينا) فى تلك الليلة ، للهث من فرط الانفعال ، ولأسرع يلتقط ريشته ، ويغمسها فى مداده ، ليسحب عقله مشهدًا أسطوريًا جديدًا ، من وحى هذه اللحظات ..

كان (هوميروس) سيتخيل كالعادة نقاش آلهة الأوليمب ، حول مصير (أدهم صبرى) ، وكان خياله سيدفع الإلهة (أثينا) لأن تقول فى أسف :

ــ يا للخسارة !! سيراق دم هذا المحارب الشجاع فى معبدى .

وهنا كان (مارس) إله الحرب سيشاركها أسفها ، ويغمغم فى حسرة :

ــ من النادر أن تنجب الأجيال مقاتلًا فى مثل بأسه وجرأته .

سيتردّد فى المكان ــ فى خيال (هوميروس) ــ صوت تنهيدة قويّة من صدر (فينوس) إلهة الجمال ، وهى تتمتم :

— ولا فى مثل وسامته .

وهنا سيتبادل الآلهة نظرات ذات مغزى . ثم يقول (مارس) إله الحرب . وهو يختلس النظر إلى (زيوس) كبير الآلهة :

— أمن الضرورى أن يلقى حتفه ؟

فتختلس (فينوس) النظر بدورها إلى (زيوس) ، وتقول :

— كنت أفضل أن ينجو .

وتنتقل أبصار الثلاثة إلى (زيوس) ، الذى يجلس فى وقار فوق عرشه الضخم ، أعلى سحاب جبال الأولمب ، ويتساءلون فى صوت واحد :

— ما رأيك يا (زيوس) ؟

لا ريب أن خيال (هوميروس) كان سيجعل (زيوس) يعقد حاجبيه الغليظين . ويداعب ذقنه الكثة بأصابعه . وهو يقول فى هدوء ، ووقار :

— ولكنه لا يدين بالولاء لآلهة الأوليمب

ويهتف (مارس) فى حماس :

— ولكنه مقاتل عظيم .

وتكمل (فينوس) :

— وجميل المحيا أيضًا .

فيتردد (زيوس) ، ويقول وكأنه يحادث نفسه :

— إذن فأنتم تريدون له النجاة .

فيهتف ثلاثتهم فى آن واحد :

— نعم .

ويهزّ (زيوس) رأسه فى وقار ، ثم يقول :

— حسنًا . سينجو .

هكذا سيكون الحوار ، الذى سيبتدعه حتمًا خيال (هوميروس) ، الذى كان يؤمن فى عصره بوجود آلهة الأوليمب ، أما فى الواقع فالأمر يختلف ..

لقد كان (أدهم) قد عاد يرخى عضلاته ، بعد أن ارتفعت الهليوكوبتر ، عندما اخترقت رصاصات (سونيا) باطنها ، وعبرت أمام وجهه تمامًا ، ولكن إحداها مزّقت سترته ، وجزءًا من لحم ذراعه ، فابتعدت يده عن القائم المعدنى ، الذى يتعلّق به ، وهوى فوق المعبد الأثرى ، ورأى جسده يهوى فى فراغ السقف المحطّم ، فمد ذراعيه فى حركة غريزية ليتعلّق بشىء .. أى شىء ..

وفجأة التقطت أصابعه حافة سقف المعبد ، وتشبثت بها فى قوة . وشعر (أدهم) بآلام رهيبة فى عضلات ذراعيه ، وفى صدره ، وهو يرتطم بأحد الأعمدة الرخامية . ولكن أصابع كفيه ظلت تتشبث بحافة السقف فى قوة فولاذية ، وتجاهل هو آلام عضلات ذراعيه وصدره ، ليدفع جسده فى إصرار إلى أعلى ، حتى استقر فوق حافة السقف ، ورأى الهليوكوبتر وهى تستدير ، وتعود إليه ، وخيّل إليه أنه يسمع صرخة (سونيا) الساخطة ، وهى تقول فى غضب :

ــ تبًا للقدر .. ألا يلقى هذا الشيطان حتفه أبدا

رأى (أدهم) الهليوكوبتر تندفع نحوه ، وتصوّرها ترتطم به ، وتلقى به من حالق ، بعد أن تمزّقه مراوحها ، فنسى آلامه ، أو تناساها ، ورفع مسدّسه فى وجه الهليوكوبتر ، وصوّبه فى سرعة وإحكام ، وأطلق النار ..

* * *

اختلط صوت رصاصات (أدهم) ، وهى ترتطم بالهليوكوبتر ، بصوت الأبواق المميّزة لسيارات الشرطة فى (أثينا) ، وهى تندفع إلى المكان ، وعضت (سونيا جراهام) شفتيها قهرًا ، وقالت فى غضب :

ــ حسنًا .. لقد ساعدك الحظ على ربح هذه الجولة أيضًا يا (أدهم صبرى) ، ولكن المعركة لم تنته بعد

رأى رجال الشرطة اليونانية الهليوكوبتر تبتعد ، وهى تجرّ خلفها خيطًا من اللهب والدخان ، فأشار إليها أحدهم ، وهو يقول فى انفعال :

ــ هذه هى الهليوكوبتر ، التى تسببت فى هذا كله ، اطلبوا من رجال الدفاع الجوى ملاحقتها فورًا .

ثم أشار إلى (الأكروبول) كله بكفيه ، وهو يردف :

ــ وأحيطوا المنطقة كلها .

أحاط رجال الشرطة المنطقة الأثرية فى سرعة وكفاءة ، واستمر فحصهم للمكان ساعة كاملة ، إلى أن اقترب أحدهم من قائده يقول :

ــ عثرنا على خمسة من القتلى ، وستة مصابين فاقدى الوعى يا سيّدى ، ومعهم عدد من المدافع الرشّاشة .

عقد قائد الشرطة حاجبيه ، وهو يقول فى سخط :

ــ إنها حرب إذن .

ثم أردف فى اهتمام :

ــ والدرّاجة البخارية ؟

هز الرجل كتفيه ، وأجاب :

ـــ إنها خالية .. لا ريب أنها تخص أحدهم .

ظهر الغضب على وجه قائد الشرطة ، وهو يقول :

ـــ أو تخص قائد تلك الهليوكوبتر التي فرت حين وصولنا .

رفع الشرطى حاجبيه ، وكأنما تذكر أمرا ما ، وقال :

ـــ آه !! لقد أبلغنا رجال الدفاع الجوى أنهم عثروا على الهليوكوبتر ، ولكن .....

سأله قائده فى عصبية :

ـــ ولكن ماذا ؟

خفض الشرطىّ صوته ، وكأنه يخشى التصريح بما لديه ، وهو يقول :

ـــ ولكنها كانت خالية .

ضغط قائد الشرطة أسنانه فى غضب ، وهتف فى سخط :

ـــ خالية ؟! .. كل شىء خال ؟!

ثم أردف فى لهجة شديدة الصرامة :

ـــ سننتظر إذن حتى يستعيد هؤلاء الأوغاد الستة وعيهم ، وأقسم أننى سأجبرهم حينئذ على الإفصاح لى بتاريخ حياتهم كله ، حتى الأمراض التى أصابتهم فى مرحلة الطفولة .. أقسم على ذلك .

* * *

١٣ ـــ الزمـــن ..

ساد الهدوء تماما فى الثانية والنصف صباحا ، فى منطقة (الأكروبول) الأثرية ، بعد انصراف رجال الشرطة ، ووسط السكون الرهيب الذى ساد المكان تحرّكت فتاة رقيقة الجسد والملامح فى خفة ، وبدت شديدة القلق والتوتر وهى تسرع نحو معبد (البارثينون) ، وتتحرّك بين أعمدته الرخامية ، وهى تهمس فى صوت يغلب عليه الانفعال :

ـــ (أدهم) .. أين أنت ؟

أجابها الصمت الكثيف على نحو أثار قلقها ، فدارت ببصرها فى المكان فى توتر ، وهى تحاول اختراق الظلال التى يصنعها ضوء القمر ، حين سقوطه على الأعمدة العديدة المتناثرة ، وفتحت شفتيها الرقيقتين لتكرر نداءها الهامس ، ولكن لمسة حانية على كتفها جعلتها تلتفت فى سرعة ، وتحدّق فى وجه الرجل الذى يقف خلفها ، وهى تهتف فى ارتياح :

ـــ (أدهم) .. حمدا لله على سلامتك .

لم تكد تتم عبارتها حتى لمحت الدماء التى تلوث ذراعه وكم سترته ، فأردفت فى لهفة وجزع :

ـ ياإلهى !! .. هل أصابتك تلك الأفعى ؟

ربّت على كتفها فى هدوء ، وقال :

ـ إنه مجرد خدش بسيط يا عزيزتى .

ثم أردف فى حزم :

ـ المهم الآن أن نلحق بـ (سونيا جراهام) ، قبل أن تختفى ، وتزيد مهمتنا صعوبةً .

سألته ، وهى تتبعه إلى حيث ترك سيارته :

ـ أين اختفيت طوال مدة وجود رجال الشرطة ؟

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

ـ فوق سطح المعبد ، حيث تركتنى (سونيا) .

تنهّدت فى ارتياح ، وقالت :

ـ لقد اختفيت أنا بين بعض الصخور المتناثرة ، وأنا أدعو الله (سبحانه وتعالى) ألّا يعثروا عليك .

ابتسم دون أن يعلّق على عبارتها ، فأردفت وهى تلهث من سرعة سيرها إلى جواره :

ـ لقد سقط قلبى بين ضلوعى ، حينما رأيتك فى ضوء القمر تهوى فوق (البارثينون) ، وتصوّرت أنك لقيت حتفك ، لولا أن رأيتك تطلق النار على الهليوكوبتر .

كانا قد وصلا فى تلك اللحظة إلى حيث ترك (أدهم) السيارة ، فقفز هو خلف عجلة القيادة ، وهو يقول :

ـ لقد نجوت بفضل الله (سبحانه وتعالى) وحده يا (منى) ، وأتمنى أن يكون هذا فألاً حسنًا لنجاحنا فى هذه المهمة .

سألته وهو ينطلق بالسيارة :

ـ لقد أضاع تفتيش الشرطة وقتا طويلاً ، ولم يعد لدينا سوى ثمانى عشرة ساعة فحسب . فهل تظن أننا سننجح فى العثور على وزير الخارجية ، وسط ذلك الحىّ اليونانى ، فى هذا الوقت القصير .

مطّ شفتيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـ أخشى أن بحثنا لن يقتصر على ذلك الحىّ وحده يا (منى) ، بل سيمتد إلى (اليونان) كلها .

هتفت فى دهشة :

ـ هل تعنى أن (سونيا) قد نجحت فى نقله فى أثناء .. ؟

قاطعها ، قائلاً :

ـ وزير الخارجية لم يكن أبدًا فى ذلك الحىّ يا (منى) .

عقدت حاجبيها ، وتأمّلته لحظة فى حيرة ، ثم غمغمت :

— ماذا تعنى ؟ .. ألم يختف فى هذا الحىّ و....؟

عاد يقاطعها ، قائلاً :

— وتم حصار المنطقة كلها ، وتفتيشها .. أعلم ذلك ، ولقد كان هذا هو الخطأ ، الذى وقع فيه رجال الأمن حينذاك .

سألته ، وقد تعاظمت دهشتها ، وتضاعفت حيرتها :

— ماذا تعنى ؟

أجابها وهو يقود السيارة فى سرعة ، وسط شوارع (أثينا) الخالية ، فى مثل هذا الوقت من الليل :

— أعنى ببساطة أن تلك السيارة ، التى عثروا عليها لم تكن نفس السيارة ، التى تقلّ وزير الخارجية .

غمغمت (منى) فى انفعال :

— ياإلهى !!

تابع (أدهم) حديثه فى هدوء :

— لقد كانت خطة (الموساد) ذكيّة ، حتى أنها خدعت الجميع ، ولقد كانت الخطة كلها تعتمد على عمليتى إبدال .. إبدال السائق والسيارة .

صمت لحظة ، ثم أردف :

— لقد بدأ الأمر بإبدال سائق سيارة وزير الخارجية ، فى أثناء وجوده فى وزارة الخارجية اليونانية . وعندما غادر الوزير المبنى ، واستقل سيارته ، لم يلتفت إلى سائقه ، وتصوّر بحكم العادة أن ذلك الذى يرتدى الزىّ الرسمىّ هو سائقه المعتاد ، حتى عندما انطلقت السيارة فى طريقها ، وخلفها رجال الأمن ، إلّا أنه تنبّه بالضرورة عندما انحرف السائق فجأة إلى ذلك الحىّ اليونانى ، وزاد من سرعته ليتجاوز الحىّ الصغير فى سرعة ، وينحنى فى طريق آخر ، ويواصل طريقه ، فى حين كانت هناك سيارة أخرى مماثلة تمامًا لسيارة وزير الخارجية تنتظر خالية فى الحىّ .. سيارة لها نفس اللون والطراز والأرقام ، وكل شىء .. نسخة طبق الأصل من سيارة الوزير ، تم إعدادها خصّيصًا .

عاد يصمت لحظة أخرى ، ليزدرد لعابه ، ثم تابع :

— وحينما انحرف رجال الأمن إلى الحىّ نفسه ، ووقعت أبصارهم على هذه السيارة البديلة ، تصوّروا جميعًا أنها سيارة الوزير ، ولم يساورهم الشك لحظة فى أنها سيارة أخرى ، فتوقفوا فى ذلك الحىّ ، فى الوقت نفسه الذى كانت فيه سيارة الوزير الحقيقية تبتعد بسرعة عن المكان ، وتترك رجال الأمن

يطوّقون الحيّ الخالى ، ويفتشونه بيتًا بيتًا ، وحجرة حجرة ،
وفى أثناء انشغال الجميع يتم نقل الوزير قسرًا إلى سيارة أخرى ،
ومكان آخر .

هتفت (منى) فى دهشة :

ـــ يالها من خطة !!

ثم أردفت بمزيد من الدهشة :

ـــ كيف توصّلت إلى كل هذا ؟

ابتسم وهو يقول :

ـــ لعلّها روح (هولمز) .

هتفت (منى) :

ـــ لا تمزح .. أريد أن أعرف حقًّا كيف توصّلت إلى هذا ؟

هزّ كتفيه ، وأجاب فى هدوء :

ـــ لست أدرى يا عزيزتى .. لقد برز الأمر كله فى عقلى
بغتة ، ونحن نستند إلى حاجز الكازينو ، ونتطلّع إلى البحر .

سألته فى دهشة :

ـــ هكذا ؟! .. بكل بساطة !!

عاد يهزّ كتفيه ، قائلاً :

ـــ نعم .. لقد تراصّت الحقائق فى رأسى ، وبرز الحل بغتة و ....

قاطعته ، وهى تقول فى مرح :

ـــ يا إلهى !! .. هذه موهبة جديدة تضاف إلى مواهبك .

ثم تلاشى مرحها فجأة ، وهتفت فى قلق :

ـــ ولكن استنتاجك هذا يعنى أن مهمتنا قد أصبحت
مستحيلة .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ـــ ليس بعد يا (منى) :

سألته فى لهفة :

ـــ ألديك خطة ما ؟

صمت لحظة ، قبل أن يجيبها فى هدوء :

ـــ نعم يا (منى) ، فالوسيلة الوحيدة للعثور على وزير
الخارجية فى هذا الزمن القصير ، هى أن تقودنا إليه (سونيا)
بنفسها .

اتسعت عينا (منى) دهشة ، وغمغمت :

ـــ وهل تظن أن هذه الأفعى ستسمح لك بـ ...

قاطعها (أدهم) ، وهو يبتسم ابتسامة شديدة الغموض :

ـــ ألم أقل لك يا عزيزتى إننى أعد خطة ؟

ثم أردف فى هدوء :

ـــ خطة تعتمد على سباقنا مع الزمن .. الزمن الذى
لا يرحم .

★ ★ ★

١٤ ــ القسوة أوَّلاً ..

« يبدو أن الرؤساء يشاركونك شكوكك ، بشأن العرض الذى تقدّم به (أدهم صبرى) يا (سونيا) »

نطق (دافيد) هذه العبارة فى هدوء ، وهو يتأمّل (سونيا جراهام) ، التى بدت شديدة العصبية ، وهى تلوِّح بكفها ، قائلةً :

ــ هذا لأنهم يعرفون هذا الشيطان ، مثلما أعرفه أنا تمامًا يا (دافيد) .

أسرعَ (دافيد) يقول :

ــ ولكنهم لم يرفضوه تمامًا يا (سونيا) .

صاحت (سونيا) فى مزيج من الدهشة ، والغضب :

ــ ماذا تعنى بحقّ الشيطان ؟

ازْدَرَدَ لعابَه ، قبل أن يغمغم :

ــ لقد وافقوا ، بشرط أن يقدِّم حسن نيَّته .

ردّدت (سونيا) فى ذهول ، وكأنها لا تصدّق ما تسمعه أذناها :

ــ حسن نيته ؟ ! ..

ثم انفجرت صائحةً :

ــ هل أصابكم الجنون جميعًا ؟ .. أتتفاوضون مع (أدهم صبرى) ، بعد كل ما فعله ؟ .. بعد ما أصاب رجالنا على يديه الليلة ؟

تردّد (دافيد) ، قبل أن يقول فى صوت خافت :

ــ معذرة يا (سونيا) ، ولكنك أنت بدأت هذا الصِّراع ، لا هو .

حدّقت (سونيا) فى وجهه لحظة ، ثم صاحت فى غضب جنونى :

ــ أيها الأحمق المخبول .. هل تتصوّر أننى أفسدت الأمور ؟ .. لقد فعلت ما فعلت لأننى أعرف ما يهدف إليه (أدهم صبرى) .. إنه يسعى لبلبلة أفكارنا ، حتى لا ننتبه إلى الهدف الحقيقى لوجوده هنا ، وهذا ما أحاول منعه من تحقيقه .

عقد (دافيد) حاجبيه ، وغمغم :

ــ ولكن يا (سونيا) .

وفجأة تردّد فى المكان صوت هادئ ساخر . انتفض له جسد (دافيد) بأكمله ، وتفجّرت له البقية الباقية من أعصاب (سونيا) ..

صوت (أدهم صبرى) يقول :

ــ صدّقها أيها الغبىّ .

استدار (داڤيد) و (سونيا) فى حدّة نحو مصدر الصوت ، وطالعهما (أدهم) و (منى) ، وهما يصوّبان إليهما مسدسيهما ، وسمعا صوت (أدهم) يردف فى سخرية :

ــ إننى أعترف .. لقد كنت أخدعكما منذ البداية

★ ★ ★

مرّت لحظة سريعة من الصمت ، قبل أن تهتف (سونيا جراهام) فى سخط :

ــ كنت واثقة من ذلك ، منذ اللحظة الأولى .

نقل (داڤيد) بصره فى ذهول ، بين وجه (سونيا) الغاضب ، وابتسامة (أدهم) الساخرة ، ثم استجمع شجاعته ، وغمغم :

ــ سيّد (أدهم) ، لقد وافق الرؤساء على ..

قاطعه (أدهم) فى لهجة شديدة السخرية

ــ ألم تفهم كلماتى بعد أيها الوغد ؟ .. إننى أعترف بخداعى لكم .

تراجع (داڤيد) ، وهو يغمغم بمزيد من الذهول

ــ يا للشيطان !!

صاحت (سونيا) فى سخط :

ــ إنك لم تخدعنى لحظة واحدة يا (أدهم) .

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

ــ إننى أعترف بذلك يا عزيزتى (سونيا) .

ثم رفع مسدّسه إلى رأسها ، وسألها فى صوت صارم :

ــ دعينا نعود إذن إلى الأدوار الأصلية .. أين وزير خارجيتنا يا (سونيا) ؟

ابتسمت (سونيا) فى سخرية ، وقالت فى صرامة :

ــ هل تظن أننى سأخبرك ؟

تبادل كلاهما نظرات التحدّى لحظة ، ثم أجاب (أدهم) فى هدوء :

ــ كلّا .

ثم استدار إلى (منى) ، وقال :

ــ أطلقى النار على رأسها مباشرةً ياعزيزتى ، ولا تترددى لحظة واحدة ، إذا ما أتت هذه الأفعى حركة مريبة .

صوّبت (منى) مسدّسها إلى رأس (سونيا) فى صرامة ، فى حين دسّ (أدهم) مسدّسه فى حزامه ، وجذب إليه (داڤيد) فى عنف ، وهو يسأله فى لهجة مخيفة :

— أين الوزير أيها الوغد ؟

قاوم (دافيد) ذلك الخوف ، الذى سرى فى عروقه ، وغمغم :

— هل تتوقع أن تحصل منى على كلمة وا .... ؟

وفجأة ، انفجرت قبضة (أدهم) فى فك (دافيد) لتبتر عبارته ، وترنح رجل (الموساد) ، وتحوّل خوفه إلى رعب هائل ، حينما خرجت إحدى أسنانه من فمه ، مع سيل الدماء التى انهمرت منه ، وحدّق فى وجه (أدهم) بذعر شديد ، فى حين كرّر هذا الأخير سؤاله فى هدوء :

— أين الوزير ؟

صاحت (سونيا) فى غضب :

— لا تنطق بكلمة أخرى يا (دافيد) ، سأقتلك أنا لو فعلت .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى هوت قبضة (أدهم) مرّة أخرى على أنف (دافيد) ، لتهشمه ، وتسيل منه الدماء فى غزارة ، ثم اندفعت قبضته الأخرى بين عينى هذا الأخير ، فتراجع إلى الخلف من قوة الضربة ، وارتطم بمقعد كبير ، فسقط فوقه ، وهوى كلاهما أرضا ـ المقعد والرجل ـ فهتفت (سونيا) فى انفعال :

— أخطأت هذه المرّة أيها الشيطان .. لقد أفقدته وعيه ، ولم يعد باستطاعته إخبارك بشىء .

وقف (أدهم) صامتًا ، يحدّق فى جسد (دافيد) ، الذى تراخت أطرافه ، ثم أدار عينيه إلى (سونيا) ، وقال فى برود :

— صدقت .

ثم أشار إلى (منى) ، وقال :

— سننهى هذه الجولة يا عزيزتى .

وأردف ، وهو يلتفت مرة أخرى إلى (سونيا) فى برود :

— سنعود لنلتقى يا (سونيا) .

أجابته (سونيا) فى شراسة :

— ستكون جولتنا الأخيرة أيها الشيطان المصرى .

* * *

همست (منى) فى أذن (أدهم) ، وهى تجلس إلى جواره فى السيارة :

— لقد أدهشتنى قسوتك الزائدة على رجل (الموساد) يا (أدهم) .. إننى لم أعهدك بهذه القسوة أبدًا .

ابتسم ، وهو يقول :

— تذكّرى خطتى يا عزيزتى .. إنها تعتمد على هذه القسوة أوّلاً .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ نعم .. ولكننى أشفقت عليه .

أجابها فى هدوء :

ـ لكل معركة ضحايا يا (منى) .

ثم التفت إليها ، وأردف فى اهتمام :

ـ والآن عليك تنفيذ الجزء الخاص بك من الخطة يا (منى) .. ستنطلقين الآن إلى السفارة المصرية هنا ، وعليك إرسال برقية بالشفرة إلى الإدارة ، واطلبى منهم إبلاغ المسئولين بضرورة التزام الصمت بشأن تهديد (الموساد) ، حتى بعد انتهاء المهلة الممنوحة .

سألته فى قلق :

ـ هل تظنهم سيوافقون ؟

أجابها فى حزم :

ـ لابدّ أن يفعلوا يا (منى) ، وإلّا فلن يستردُّوا وزير الخارجية أبدًا .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم ربّت هو على كتفيها ، وقال فى هدوء :

ـ انعمى بنوم هادئ بعد إرسالك البرقيّة يا عزيزتى ، فمنذ هذه اللحظة ينتهى دورك فى العملية .

تطلعت إليه فى حنان دافق ، وهمست :

ـ هل سنلتقى ثانيةً ؟

ابتسم ، وهو يقول فى ثقة ، وهدوء :

ـ بإذن الله يا (منى) .

ثم أردف فى حزم :

ـ وسيكون معنا وزير الخارجية المصرى .

* * *



١٥ ــ دماء مصرية فى (أثينا) ..

قرأ مدير المخابرات المصرية البرقية الشفرية ، التى أرسلتها (منى) أكثر من مرة ، قبل أن ينهض من خلف مكتبه ، ويعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتحرك فى أرجاء المكتب فى توتُّر ، إلى أن سأله أحد رجال المخابرات :

ــ هل تعتقد أن المسئولين سيوافقون على هذا يا سيّدى ؟

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وغمغم فى قلق :

ــ لست أدرى ، ولكن يبدو أن خطة (أدهم) تعتمد على التزامهم الصمت تمامًا .

سأله الرجل فى اهتمام :

ــ ألم يرسل بتفاصيل خطته ؟

هزّ مدير المخابرات رأسه ، وقال :

ــ نعم ، ولكننى أثق به ثقة عمياء .

ساد الصمت لحظة ، قبل أن يردف :

ــ ولكن هل تكفى ثقتى لاتخاذ مثل هذا القرار الخطير ؟

تردّد رجل المخابرات فى طرح رأيه ، ثم فضّل فى النهاية التزام الصمت ، فى حين أردف مدير المخابرات فى حزم :

ــ ولكن واجبنا يقتضى أن نعاونه .

والتقط سمّاعة الهاتف ، وهو يقول :

ــ وسأبذل كل جهدى من أجل ذلك .

* * *

أطفأت (سونيا) سيجارتها ، وهى تلتفت إلى (دافيد) ، الذى غادر حجرته ووجهه محاط بالضمادات ، وقالت فى برود :

ــ أمازلت تثق فى عرض (أدهم صبرى) ؟

هتف (دافيد) فى سخط :

ــ تبًّا له ، لقد حطّم وجهى بلا رحمة .

ثم لوّح بذراعه ، وهو يردف فى حَنَق :

ــ إننى حتى لم أعتد صوتى بعد ، من خلال أسنانى المحطمة .

أشعلت (سونيا) سيجارة أخرى ، وهى تقول فى سخط :

ــ هذا جزاء حماقتك .

ظهر الغضب فى عينيه لحظة ، ثم هتف فى غضب :

ــ هذا الشيطان سيفسد العملية كلها .. لابدّ لنا من التخلص من ذلك الوزير المصرى فورًا .

غمغمت (سونيا) فى ضيق :

— لم يحن الوقت بعد يا (دافيد) .

هتف فى غضب :

— فلتذهب المهلة إلى الجحيم ، لو أن (أدهم صبرى) عثر على الوزير قبل انتهاء المهلة ، فلنقل وداعًا للعملية كلها .. إن قتل الوزير هو الضمان الوحيد لنجاح المهمة .

عقدت (سونيا) حاجبيها فى تفكير عميق ، وقالت فى صوت خافت :

— هذا قرار خطير .

صاح (دافيد) :

— ليس بالخطورة التى تتصوّرينها يا (سونيا) ، فحتى لو وافقت مصر على شروطنا ، فلن يكون بإمكاننا إعادة الوزير ، فهذا يعرّض معاهدة السلام بيننا وبينهم للخطر .

صمتت (سونيا) لحظات ، ثم ابتسمت ، وقالت :

— يبدو أنك كنت تفتقد لكمات (أدهم صبرى) منذ زمن طويل يا (دافيد) ، فها هو ذا عقلك يبدأ فى التفكير .

ثم نهضت ، والتقطت سمّاعة الهاتف ، وهى تردف :

— سأتصل برجالنا فورًا ، وأطلب منهم أن ....

أمسك السمّاعة ، وهو يقول فى حِدّة :

— كلّا يا (سونيا) .. إننى لن أثق فى شىء بعد الآن ، حتى أراه بعينى .

ثم أردف ، وهو يعيد السمّاعة إلى موضعها :

— سأقتل الوزير بنفسى .. الآن .

* * *

ساد الصمت تمامًا داخل سيارة (سونيا) ، وهى تنطلق فى الطريق من (أثينا) إلى مدينة (كالاماى) ، على الساحل الجنوبى لبلاد (اليونان) ، واختلست هى النظر إلى (دافيد) ، الذى استرخى فى المقعد المجاور لها ، وسألته فى سخرية :

— أمازالت رأسك تدور ، منذ لكمك (أدهم صبرى) يا (دافيد) ؟

غمغم فى سخط

— إن قبضته قوية للغاية يا (سونيا) .

أطلقت ضحكة ساخرة ، وقالت :

— نعم يا (دافيد) .. لقد أجمع رجالنا على ذلك .

عقد حاجبيه فى غضب ، وقال :

— ولكننا سنلقنه درسًا بقتل الوزير .

ثم أردف ، وكأنه يحاول الفرار من سخرية (سونيا) :
ـ لقد كانت فكرة رائعة أن نخفى الوزير فى (كالاماى) .. أليس كذلك ؟
أجابته فى هدوء :
ـ بل .. فالجميع يتصوّرون أنه قد اختفى فى ذلك الحى اليونانى .
مطّ شفتيه ، وغمغم :
ـ يا للأغبياء !!
ضحكت (سونيا) مرة ثانية فى سخرية ، وقالت :
ـ صوتك يبدو طريفًا يا (دافيد) ، بعد أن حطمَ (أدهم صبرى) أسنانك .
عقد (دافيد) حاجبيه ، وغمغم فى سخط :
ـ هل ينقضى الليل كله ونحن نتحدث عن هذا الشيطان ؟
ابتسمت (سونيا) فى تهكّم ، وقالت :
ـ لا يا (دافيد) .. لقد وصلنا إلى هدفنا .
رفع (دافيد) عينيه إلى الفيلا الأنيقة ، التى توقفت أمامها (سونيا) ، فى أرقى أحياء (كالاماى) ، وغمغم فى هدوء :
ـ نعم يا (سونيا) .. وصلنا إلى هدفنا .

* * *

أصيب رجال (الموساد) الخمسة ، الذين يقومون على حراسة الوزير المختطف فى الفيلا ، بالدهشة عندما وصل (دافيد) و (سونيا) فى السادسة صباحًا ، وازدادت دهشتهم حينما سألتهم (سونيا) :
ـ أين الوزير المصرى ؟
أجابها أحد الرجال ، وهو يشير إلى حجرة جانبية :
ـ إنه مقيد فى حجرته ، ولقد تفقّدته منذ لحظات .
قال (دافيد) فى صرامة :
ـ أحضره إلى هنا .
حدّق الرجل فى وجه (دافيد) بدهشة ، وهمَّ بسؤاله عن سر الضمادات ، التى تغطى وجهه ، ولكنه آثر الصمت ، وأسرع يلبى الأمر ، ولم يلبث أن عاد بوزير الخارجية المصرى ، مقيد اليدين خلف ظهره ، فابتسمت (سونيا) فى سخرية ، وقالت :
ـ مرحبًا يا سيادة الوزير .. لقد تخلت عنك دولتك .
رفع الوزير المصرى رأسه فى كبرياء ، وقال فى شجاعة :
ـ هذا هو التصرف الأمثل أيتها الأفعى ، فالتضامن العربى حلم يراود خيال كل العرب منذ الأزل ، ومن الخطإ التضحية به من أجل رجل واحد مهما بلغ منصبه .

عقدت (سونيا) حاجبيها فى غضب ، وقالت :

ــ يبدو أنك لم تقدر الأمر حق قدره أيها الوزير . إن رفض دولتك يعنى أننا مضطرون لقتلك .

بدا الوزير مثالاً للعزة والإباء ، وهو يقول فى ثبات

ــ لو كانت حياتى ثمناً للتضامن العربى . فإنى أدفعها عن طيب خاطر .

رفعت (سونيا) ، مسدسها إلى رأسه ، وهى تقول فى غضب هائل :

ــ حسناً أيها الوزير الأحمق .. ستدفع حياتك الآن .

لم ترتجف شعرة فى جسد الوزير ، على الرغم من يقينه بالموت ، بل ظلت عيناه صارمتين ، وهو ينظر فى عينى (سونيا) بثبات . فقال (دافيد) فى غضب :

ــ مهلاً يا (سونيا) .. أريد أن أحظى بهذا الشرف .

وتناول المسدس من يدها فى حدة ، فقالت هى :

ــ حسناً يا (دافيد) .. أطلق النار على رأسه مباشرة

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفع رنين الهاتف إلى جوارها تماماً ، فأسرعت تلتقط سماعته ، وتضعها على أذنها وهى تقول :

ــ من المتحدث ؟

كاد الذهول يعصف بنفسها ، حينما سمعت صوتاً متلهفاً ، على الجانب الآخر ، يهتف فى انفعال وتوتر :

ــ (سونيا) .. لقد توقعت وجودك هناك .. أنا (دافيد) .. لقد باغتنى ذلك الشيطان المصرى فى حجرتى ، وأفقدنى الوعى ثانية .. لقد كان ينتحل شخصيتى يا (سونيا) .. هل تسمعيننى ؟ .. إنه ينتحل شخصيتى .

* * *

١٦ ــ الذهــول ..

سقطت سمّاعة الهاتف من يد (سونيا) ، وهى تحدّق فى ذهول فى وجه الرجل ، الذى يقف أمامها ، ووجهه مغطى بالضمادات ، وارتجفت شفتاها ، وهى تغمغم :

ــ إنه أنت .

قفز (أدهم صبرى) ، الذى ينتحل شخصية (دافيد) إلى الوراء ، بحيث أصبح يواجه الرجال الخمسة ، و(سونيا جراهام) ، وصوّب مسدّسه إلى الجميع ، وهو يقول فى سخرية بدت كالحمم الملتهبة ، وهى تغبّر أذنىْ (سونيا) :

ــ نعم يا عزيزتى (سونيا) .. هو أنا .

تطلّع إليه الرجال الخمسة فى ذهول ، وشاركهم الوزير المصرى ذهولهم ، فى حين هتفت (سونيا) ، وهى تكاد تبكى من فرط القهر والذلّ :

ــ ولكن كيف ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ــ كنت أعلم أنك المخلوقة الوحيدة فى هذا العالم ، التى

يمكنها تعرّفى ، مهما بلغ إتقان تنكّرى يا (سونيا) ، ولكنك كنت فى الوقت نفسه الشخص الوحيد ، الذى يمكنه أن يقودنى إلى المكان الذى وضعتم فيه الوزير ؛ لذا فقد تعمّدت ــ فى لقائنا الأخير ــ تحطيم أسنان (دافيد) ، وأنفه ووجهه ، بحيث يضطر إلى تغطيته بالضمادات ، وهنا تكون هناك فرصة لخداعك ، حينما أنتحل شخصيته ، فالضمادات ستخفى الجزء الأكبر من الوجه ، وبخاصة الأذنان اللتان تعتمدين عليهما اعتمادًا كبيرًا فى تعرّفى ، والأسنان المحطمة ستبرّر أى اختلاف طفيف فى الصوت ، وطبيعتك الشرسة ستجعلك توافقين بسرعة على ضرورة التخلص من الوزير ، وسيكون وجهى المحطّم مبرّرًا كافيًا لتقودى أنت السيارة إلى هنا .

ضغطت (سونيا) أسنانها ، وهى تقول فى غضب :

ــ لقد خدعتنى .

ضحك فى سخرية ، وهو يقول :

ــ ليست المرّة الأولى يا (سونيا) .

بدا صوتها مفعمًا بالمرارة ، والكراهية ، والوحشية ، والغضب ، وهى تقول :

ــ ولكنها ستكون الأخيرة يا (أدهم صبرى) .

وفى قفزة مباغتة ماهرة ، وصلت (سونيا) إلى الوزير ، وأحاطت عنقه بساعدها فى قوة ، واستلّت من حزامها خنجرًا ماضيًا ، وضعته على عنقه ، وهى تصرخ فى غضب :

ـ ألق سلاحك يا (أدهم صبرى) أو أذبح هذا الوزير أمام عينيك .

* * *

استعاد رجال (الموساد) الخمسة رباطة جأشهم ، حينما رأوا زعيمتهم تستعيد سيطرتها على الموقف ، بهذه الخطوة الجريئة ، فأسرعوا يرفعون مسدّساتهم فى وجه (أدهم) ، الذى ظلّ يصوّب مسدّسه إليهم ، وهو يقول فى برود :

ـ سترتكبين خطأً جسيمًا يا (سونيا) ، لو أنك نفّذت تهديدك هذا ، فلو مسست شعرة واحدة من رأسه ، فسأمزّقك إربًا .

هتفت (سونيا) فى وحشية :

ـ افعل ما بدا لك أيها الشيطان ، فسأدفع أى ثمن ، حتى لا تهزمنى مرة أخرى .

شعر (أدهم) بحرج الموقف ، وتردّد لحظة ، ثم عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ حسنًا يا (سونيا) ، أنا أستسلم .

وخفض يده ، وألقى مسدّسه أرضًا ..

تألّقت عينا (سونيا) ببريق النصر ، ورفعت يدها الممسكة بالخنجر ، وهى تهتف :

ـ أمسكوا به يا رجال .

وفجأة .. وفى سرعة مذهلة ، ومهارة خارقة ، انثنى (أدهم) ، والتقط مسدّسه من بين قدميه ، وعاد ينتصب ، ويطلق النار نحو (سونيا) ..

صرخت (سونيا) فى مزيج من الدهشة والذهول ، حينما أصابت الرصاصة خنجرها تمامًا ، وأطاحت به إلى ركن الحجرة ، وقبل أن يتلاشى صوت صرختها ، كان (أدهم صبرى) ينقضُّ على رجالها الخمسة ..

كان هذا أسرع قتال خاضه (أدهم صبرى) فى حياته ..

لقد تحرّكت أطرافه الأربعة دفعة واحدة ، فى مهارة عجيبة ، وفى آن واحد حطّمت قبضته اليمنى فكّ أحد الرجال الخمسة ، وهشمت اليسرى وجه آخر ، وغاصت قدمه اليمنى فى معدة ثالث ، وأدمت اليسرى أنف رابع ، ثم واصلت قبضته اليمنى طريقها لتطيح بالرجل الخامس ، واجتمعت قبضتاه لترسلا الثالث إلى غيبوبة طويلة ..

سقط الرجال الخمسة أرضًا فى طرفة عين ، وقفز (أدهم) نحو الوزير ، وانتزعه من قبضة (سونيا) ، ثم أمسك معصمى هذه الأخيرة . وقال وهو يلهث من فرط المجهود البدنى الخارق ، الذى بذله فى ثانية واحدة :

ــ إننى لم أسمع تهديدك جيِّدًا يا (سونيا) ، هلّا كرّرته مرّة أخرى على مسامعى ؟

تفجّرت الدموع من عينى (سونيا) ، وقاومت لتخلّص معصميها من قبضته ، وهى تصرخ :

ــ أنت بشع .. بشع .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وترك معصميها ، فسقطت أرضًا ، وهى تواصل بكاءها ونحيبها ، وتضرب الأرض بقبضتيها ، والتفت إلى الوزير ، الذى بدا شديد الذهول ، وحلّ قيود معصميه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ حمدًا لله على سلامتك يا سيادة الوزير . تقبّل تهنئات المخابرات المصرية .

حدّق وزير الخارجية فى وجهه بذهول ، وغمغم :

ــ المخابرات ؟!

ثم انطلقت من بين شفتيه بغتة ضحكة تموج بالانفعال ، وهتف وهو يضرب ظهر (أدهم) فى مرح :

ــ يا للروعة !! .. إذن فهكذا تعمل مخابراتنا !! .. صدقنى يابنىّ ، إننى أشكر الظروف التى جعلت هؤلاء الأوغاد يختطفوننى ، حتى أحظى برؤية هذا العرض الرائع ، الذى قدمته أنت .. لقد منحتنى إحساسًا بالأمان سيلازمنى ما بقى لى من العمر .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، ولكن (سونيا) رفعت وجهها ، وقالت فى حَنَق :

ــ لم ينته الأمر بعد .

استدار إليها (أدهم) فى سخرية ، ولكنها أردفت فى عصبية ، وهى تشير إلى الهاتف :

ــ لقد ظلت السمّاعة مرفوعة طوال الوقت ، ولا ريب أن (دافيد) قد سمع كل ما دار هنا ، وأراهنكم أن كل رجالنا فى (كالامى) سيحيطون بالڤيلا بعد لحظات .

اقترن تهديدها بصوت أقدام تتحرّك فى سرعة نحو باب الڤيلا ، فالتفت (أدهم) إلى الوزير ، وقال :

ــ يبدو أننا لم نصل إلى المحطة الأخيرة حقًّا يا سيادة الوزير .

* * *

١٧ ـ الهروب الكبير ..

قاومت (سونيا جراهام) فى شراسة ، عندما أخذ (أدهم) يكمم فمها ، ويوثق يديها خلف ظهرها فى سرعة ، ولكن مقاومتها بدت أشبه بمقاومة باعوضة صغيرة لعنكبوت ضخم ، بعد أن وقعت فى شباكه ، وأحاطت بها خيوطه اللزجة ، وتحرّكت عاطفة الأبوة فى قلب الوزير ، وهو يغمغم :

ـ أكان ذلك من الضرورى ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يترك (سونيا) ، بعد أن انتهى منها ، ويلتقط مسدسين ، يناول أحدهما له :

ـ إننى أؤمّن ظهورنا فحسب يا سيّدى الوزير ، فهذه الرقيقة الجميلة هى أخطر أفراد (الموساد) .

تأمّل الوزير (سونيا) مرّة أخرى فى إشفاق ، ثم التفت إلى (أدهم) ، وقال :

ـ لقد صمتت الأصوات تماما فى الخارج ، هل تظن أنهم قد انصرفوا ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ بل هم يحيطون بالفيلا ، حتى لا يتركوا لنا ثغرة واحدة للهرب .

تسلل القلق إلى صوت الوزير ، وهو يقول :

ـ وماذا علينا أن نفعل ؟

أشار (أدهم) إلى المسدّس الذى يحمله الوزير ، وقال فى هدوء :

ـ أطلق النار على الذى يصل إليك أوّلاً يا سيّدى

قال عبارته ، وتحرّك فى خفّة نحو السُّلّم المؤدّى إلى الطابق الثانى ، فسأله الوزير فى قلق :

ـ أين تذهب ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال فى هدوء :

ـ لا يقلقك أمرى يا سيادة الوزير ، فلكل منا دوره .

* * *

أحاط تسعة من رجال (الموساد) بالفيلا ، إحاطة السوار بالمعصم ، وأمسك كل منهم مسدّسه فى تحفّز واضح ، وهم يقتربون منها فى بطء وحذر ..

كان هناك ثلاثة رجال يتقدّمون من الباب الأمامىّ ، وثلاثة من الباب الخلفى ، ورجلان من الجانب الأيمن ، حيث توجد

ثلاث نوافذ ، ورجل واحد من الجانب الأيسر ، حيث تطل نافذة واحدة ..

وبينما كان الرجال الثلاثة ، الذين يواجهون باب الفيلا الرئيسىّ يتقدَّمون ، همس أحدهم فى انفعال :

ـــ لو أنه شعر بنا ، فلن يخاطر بمحاولة الهروب من الباب الأمامى ، سيتَّجه حتمًا إلى الباب الخلفىّ أو .. ..

قاطعه آخر فى حَنَق :

ـــ صه يا (بن حامان) .. انتظر حتى نصل أولاً .

صمت (بن حامان) لحظة واحدة ، ثم عاد يغمغم فى لهجة تشف عن توتُّره الشديد :

ـــ يقولون إن هذا الرجل شيطان ، وإنه يمكن أن يهبط علينا من السماء ، و .....

عاد الآخر يقاطعه فى عصبيَّة :

ـــ كفى حماقة يا (بن حامان) .

ولكن (أدهم) هبط عليهم من السماء حقًا فى هذه اللحظة .

كان قد صعد إلى سطح الفيلا ، ودرس الموقف فى سرعة ، ثم اختار الباب الأمامى بالذات ، نظرًا لصعوبة تصوُّر ذلك ،

وحينما اتخذ قراره هذا أسرع يضعه موضع التنفيذ ، وقفز من السطح فوق رءوسهم ..

كانت المفاجأة مذهلة بالنسبة للرجال الثلاثة ، ولكنها لم تستغرق سوى لحظة واحدة ، فقد تحرّكت قبضتا (أدهم) فى سرعة مذهلة ، فهوت إحداهما على فك الأول ، وغاصت الثانية فى معدة الثانى ، ثم قفزت الأولى إلى فك الثانى أيضًا ، وطارت الثانية إلى أنف الثالث ..

وسقط الرجال الثلاثة فى سكون ..

تركهم (أدهم) فى مكانهم ، وتحرّك فى خفّة الفهد إلى الجانب الأيمن من الفيلا ، وهو يقول لنفسه فى سخرية :

ـــ يا إلهى !! .. لقد سئمت هذا العمل المتكرّر .

* * *

اشتدت قبضة الوزير على مقبض المسدّس ، الذى أعطاه إياه (أدهم) ، وألصق أذنه بباب الفيلا الأمامى ، محاولاً التصنُّت إلى ما يدور فى الخارج ، وبينما هو يصغى فى اهتمام تسلّلت إليه أنات خافتة ، فالتفت إلى مصدرها فى قلق ، وارتفع حاجباه فى إشفاق ، فقد كانت (سونيا) تتلوّى فى عنف ، وكأنها تعانى آلامًا مُبرِّحة ..

تردّد الوزير لحظة ، ثم تغلبت مشاعر الأبوّة فى أعماقه ،

فأسرع إلى حيث ترقد (سونيا) ، وأدار وجهها إليه ، وهو يقول فى جزع :

ـ ماذا أصابك ؟

هاله جحوظ عينيها ، واحتقان وجهها ، والألم المتبدّى فى كل لمحة من ملامحها ، فعاد يسألها فى مزيد من القلق والتوتُّر :

ـ ماذا بك ؟

بدا وكأنها تحاول أن تخبره ، ولكن الآلام تمنعها ، وهى تغلق عينيها فى قوة ، ثم تعود لتفتحهما على اتساعهما ، فأسرع هو ينزع الكمامة عن فمها ، وهو يقول فى قلق :

ـ هل تعانين ألمًا ما ؟

اختنق صوت (سونيا) ، وهى تقول فى ألم :

ـ نعم   نعم   هنا

سألها فى توتُّر

ـ أين ؟

حرّكت يديها الموثقتين خلف ظهرها ، وكأنها تحاول الإشارة إلى موضع الألم ، وهى تعض على شفتيها ، وتقول

ـ هنا ..

عاد يهتف ، وقد وصل قلقه إلى ذِرْوَته :



حرّكت يديها الموثقتين خلف ظهرها ، وكأنها تحاول الإشارة إلى موضع الألم ، وهى تعض على شفتيها ..

— أين ؟ .. أين ؟

جحظت عيناها بغتة ، ثم تراخى جفناها ، وبدت وكأنها سقطت فى غيبوبة عميقة من شدة الألم ، فترك الوزير مسدسه ، وأخذ يهزها فى جزع ، ثم أسرع يحل وثاقها ، محاولاً تخفيف آلامها ..

وفجأة ، ومع انتزاع قيودها ، استعادت (سونيا) حيويتها فجأة ، وتحركت يدها فى خفة عجيبة ، فالتقطت المسدس ، وقفزت واقفة على قدميها ، وصوّبته إلى رأس الوزير ، وهى تقول فى شراسة ساخرة :

— أنت رقيق القلب أيها الوزير .

اتسعت عينا الوزير ذهولاً ، ثم عضّ على شفتيه ندما ، وهو يقول .

— يا إلهى !! .. أنت ممثلة بارعة . لقد خدعتنى تماما .

أطلقت ضحكة وحشية ساخرة . وهى تقول

— التمثيل هو نصف عمل المخابرات أيها الوزير .

ثم جذبت إبرة مسدسها ، وقالت فى هدوء :

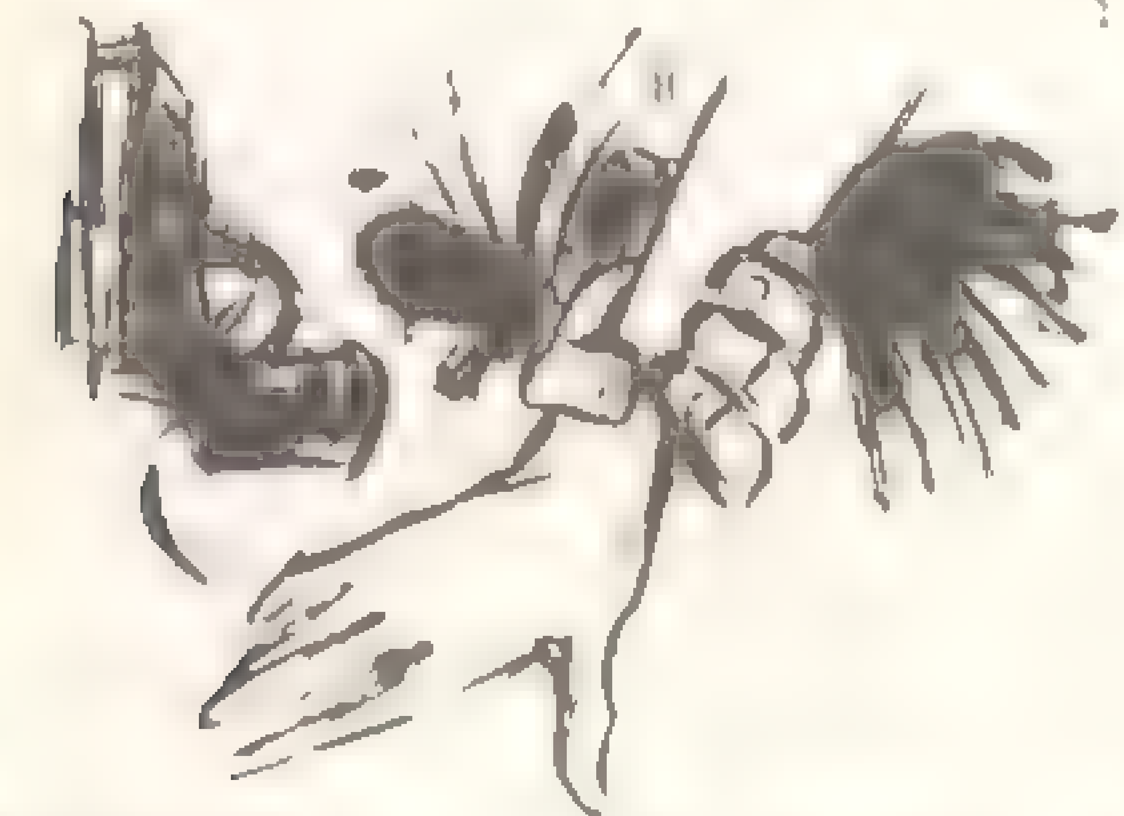
— تذكّر هذه الحكمة ، لتنقلها إلى رفاقك فى الآخرة .

* * *

١٨ — النصر ..

تحركت سبابة (سونيا جراهام) لتضغط زناد مسدسها ، وتطلق النار على رأس وزير الخارجية المصرى . ولكن قبضة فولاذية أمسكت معصمها فجأة ، وأدارت فوّهة المسدس إلى أعلى . وصرخت (سونيا) فى مزيج من الألم والدهشة ، مع صوت (أدهم) ، وهو يقول :

— ومن قال إن أهل الآخرة يحبون سماع مثل هذه السخافات ؟



ولكن قبضة فولاذية أمسكت معصمها فجأة وأدارت فوّهة المسدس إلى أعلى ..

استدارت (سونيا) فى سرعة ، محاولة توجيه إحدى

ضربات الكاراتيه إلى عنق (أدهم) ، ولكنه تلقى ضربتها على ساعده فى بساطة ، وقال فى سخرية :

— لا ، يا عزيزتى (سونيا) .

وتحركت قبضته فى سرعة لتطيح بمسدسها ، ثم لوى ذراعها خلف ظهرها ، فتأوهت فى حنق وألم ، وسمعته يقول متهكمًا :

— ليس بالقوة تهزمين (أدهم صبرى) .

صرخت ، وهو يعاود تقييد معصميها خلف ظهرها :

— أيها المغرور .

ابتسم فى سخرية ، وقال وهو يحيط فمها بالكمامة .

— شكرا أيتها المتواضعة .

غمغم الوزير فى أسف .

— لقد خدعنى و ...

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

— فلنؤجل الحديث عن هذا لما بعد يا سيدى ، فلابد لنا من الانطلاق فورا إلى (أثينا) ، حتى تمكنك ركوب الطائرة إلى القاهرة .

هتف الوزير فى دهشة :

— والرجال الذين يحيطون بالمنزل ؟

ضحك (أدهم) فى مرح ، وقال :

— فلنترك أمرهم لسيارة القمامة يا سيدى الوزير ، فهم يستلقون مثلها حول الفيلا .

اتسعت عينا الوزير عن آخرهما ، وهو يغمغم فى ذهول

— هل هزمتهم كلهم ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

— لا وقت للشرح يا سيدى .

ثم أردف وهو يبتسم :

— طائرة القاهرة لن تنتظر كثيرًا .

★ ★ ★

مرة أخرى نتصوّر (هوميروس) ، وهو يخط نهاية هذه الملحمة الجديدة ..

سيتخيل عقله الخصب مجلس الآلهة ، فوق جبال الأوليمب ، وهم يتابعون فى سعادة سيّارة (سونيا) ، التى استقلها (أدهم) بصحبة وزير الخارجية المصرى ، فى الطريق إلى (أثينا) ، وسيجعل (مارس) إله الحرب يقول فى فخر وانفعال :

— هل رأيتم ؟ . لقد نجح كما كنت أعلم أنه سيفعل ، فهو أعظم محارب رأيته منذ (أوديسوس)(*) .

(*) (أوديسوس) : شخصية أسطورية ، من ابتكار عقل (هوميروس) ، وهو بطل ملحمة (الأوديسا) .

وتجيبه (مينرفا) إلهة الحكمة :

ـ وأكثرهم ذكاء .

فترد (فينوس) إلهة الجمال :

ـ ووسامة .

وهنا سيلتفتون جميعا إلى (زيوس) كبير الآلهة ، الذى يجلس صامتا ، وقورا ، يداعب ذقنه بأصابعه ، ويقولون فى صوت واحد :

ـ كنا على حق حينما جعلناه ينجو .

ويمط (زيوس) شفتيه ، ويغمغم فى حيرة :

ـ ربما ، وإن كنت أخشى انتصاره هذا .

تتبادل الآلهة جميعًا نظرات الدهشة ، ثم يسأل (مارس) :

ـ ماذا تعنى ؟

سيجعل خيال (هوميروس) (زيوس) يصمت طويلاً ، قبل أن يقول :

ـ ما كان لنا أن نجعله ينتصر ، مادام لا يدين بالولاء لنا ، فانتصاره فى هذه الحالة يقلب الأمور رأسا على عقب .

فتعود الآلهة لتبادل نظرات الدهشة ، قبل أن يهتف (مارس) :

ـ ولكنه محارب عظيم ، يستحق النصر .

ويصمت (زيوس) طويلاً مرة أخرى ، ثم يقول :

ـ لا فائدة ترجى من محاولة تبرير الأمر الآن ، لقد ارتكبنا خطأ جسيمًا ، ولم يعد هناك مجال للتراجع .

ويسود الصمت بين آلهة الأوليمب ـ فى خيال (هوميروس) وتتفتح عيونهم لحقيقة ما حدث ، فيتولاهم الوجوم ، حتى تغمغم (فينوس) :

ـ ولكن هذا فظيع يا (زيوس) .. إن قولك يعنى أن انتصاره فى الحقيقة هزيمة لنا .

يومئ (زيوس) برأسه إيجابا ، ويقول فى حسرة :

ـ لن يؤمن أحد بعد الآن بآلهة الأوليمب ، لقد أخطأنا .

تنتقل أبصار الآلهة جميعًا إلى السيارة ، ويرهفون أسماعهم لسماع الوزير ، وهو يقول لـ (أدهم) :

ـ إننى مازلت مدهشًا مما رأيت يا سيد (أدهم) ، لقد نجا الجميع بفضلك .

ابتسم (أدهم) ، وقال فى هدوء ، وفى صوت ينم عن إيمان عميق :

— ما أنا إلا أداة يا سيادة الوزير . لقد نجحت المهمة بفضل الله (سبحانه وتعالى) ، ورعايته .

وترسم ريشة (هوميروس) خيبة الأمل على وجوه آلهة الأوليمب ، وتدفع (مارس) إلى الانهيار ، وهو يغمغم فى يأس :

— نعم .. لن يؤمن أحد بعد الآن بآلهة الأوليمب .. لقد حطمنا هذا الرجل .. حطمنا بإيمانه .

* * *

١٩ — الختام ..

جلست (منى) تراقب فى شغف وقائع استقبال وزير الخارجية المصرى ، فى قاعة مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، والتى ينقلها التليفزيون المصرى على الهواء مباشرةً ، بالقمر الصناعى من (الرياض) ، فى المملكة العربية السعودية ، وتذكَّرت وهى تتابع الأحداث كل الصعوبات ، التى واجهتها بصحبة (أدهم) ، حتى يتم تصوير هذه اللقطات فى نجاح ، فضحكت فى مرح ، وهى تقول لأمها :

— انظرى يا أماه ، كم يبدو وزير الخارجية فى أتم صحة وعافية ، وهو يدخل إلى قاعة المؤتمر .

حدجتها أمها بنظرة متشككة ، وقالت :

— (منى) .. هل كانت مهمتك الأخيرة تتعلق بصعوبات واجهت وزير الخارجية ؟

ابتسمت (منى) فى خبث ، وهى تقول :

— أية مهمة يا أماه ؟! .. إننى لم أعد أعمل فى المخابرات العامة .

عقدت أمها حاجبيها ، وقالت فى غضب :

عقدت أمها حاجبيها ، وقالت فى غضب :

ــ لم لا تصارحيننى بالأمر إذن ؟ .. ألا يكفيك ما ينتابنى من قلق وتوتُّر طوال غيابك ؟

ضحكت (منى) فى مرح ، وقالت :

ــ ولكننى أعود إليك سالمة ، أليس كذلك ؟

هتفت الأم فى حنق :

ــ ليس دائمًا .. هل نسيتِ كيف قضيت ستة أشهر عاجزة عن الحركة فى السويد(*) ؟

عقدت (منى) حاجبيها ، وقالت فى ضيق :

ــ حسنًا يا أماه .. لن يحدث هذا مرَّة أخرى ، لقد انتهى عملى فى المخابرات .

تأملتها أمها فى شك ، ثم عادت تسألها :

ــ وماذا عن (أدهم صبرى) ؟

شرد بصر (منى) لحظة ، ثم غمغمت فى حنان :

ــ لا أعتقد أنهم سيتخلَّوْن عنه بعد كل هذا يا أماه .

ثم أردفت فى فخر وسعادة :

(*) راجع قصة (حلفاء الشر) .. المغامرة رقم (١٢) .

ــ إنه أروع رجل مخابرات فى العالم .

مطَّت الأم شفتيها ، وقالت فى ضجر :

ــ ربّما ، ولكننى كنت أفضّله زوجًا عاديًّا لك .

تخضب وجه (منى) بحمرة الخجل ، وهتفت فى استنكار :

ــ أمّاه !!

ابتسمت الأم فى خبث ، وغمغمت :

ــ سيأتى هذا اليوم بلا ريب يا بنيتى .. قلبى يحدّثنى بهذا .. وسأنتظر .

★ ★ ★

وقفت (سونيا جراهام) ، فى مكتب مدير (الموساد) ، مطرقة الرأس ، تطل من ملامحها علامات الخيبة ، والهزيمة ، والألم ، والحزن ، وهى تستمع إليه يقول فى سخط :

ــ هذا ليس أول فشل لك فى مواجهة هذا الشيطان المصرى يا (سونيا) .. لقد اعتدنا هزائمك أمامه حتى سئمناها ، وبتنا نتوقعها دوْمًا .

غمغمت ، وهى تقاوم دموعها فى صعوبة :

ــ إننى ..

قاطعها مدير (الموساد) فى غضب :

ــ لا أريد تبريرات أو أعذارا ، لقد أصبح الأمر سخيفا ممجوجًا متكرّرًا ، ولم يعد هناك من جديد يمكن إضافته .

تسلّلت الدموع على الرغم من صلابة (سونيا) إلى عينيها ، وغمغمت فى صوت مختنق :

ــ أعتقد أننى بحاجة إلى بعض الراحة ياسيّدى .

هتف مدير (الموساد) :

ــ بل أنت بحاجة إلى راحة طويلة يا (سونيا) .

اتسعت عيناها دهشةً ، وذعرًا ، وهى ترفعهما إليه متمتمة :

ــ ماذا تعنى ياسيّدى المدير ؟

صاح فى غضب :

ــ أعنى أنك لم تعودى صالحة لمواجهة شيطان المخابرات المصرى هذا .

تراجعت (سونيا) فى ذعر ، وقد هالها أن ينتزعوا منها ذلك ، فهتفت فى استنكار :

ــ ولكننى أكثر من يجيد التعامل معه و .....

قاطعها مدير (الموساد) فى عصبية :

ــ أكثر من يجيد التعامل معه ؟! .. أتجدين القدرة على هذا القول ، بعد كل ما فعله بك ؟

صاحت (سونيا) فى حنق :

ــ لقد فعل أكثر من هذا مع كل رجالنا تقريبًا ، ولكننى أتميز عنهم بفهمى أسلوبه ، وتعرّفه مهما بلغت دقة تنكره .. صدقنى يا سيّدى المدير ، أنا الوحيدة القادرة على هزيمته يومًا ، وبدونى لن تكون هناك فائدة .

عقد مدير الموساد حاجبيه ، وهو يقول فى غضب .

ــ ياللغرور الكاذب !!

هتفت (سونيا) :

ــ صدقنى يا سيّدى ..

قاطعها المدير فى صرامة :

ــ كفى يا (سونيا) .

ثم أشاح بوجهه عنها ، وقال فى حزم .

ــ إجازتك الطويلة تبدأ منذ هذه اللحظة .

اتسعت عيناها ذعرا ، وهتفت :

ــ ولكن .

صاح فى غضب هادر :

ــ إجازتك تبدأ الآن يا (سونيا) .

خفضت (سونيا) رأسها فى ألم ، وغمغمت فى مذلّة :

— حسنًا ياسيِّدى .. لقد فهمت .

وغادرت مكتبه ودموع القهر تملأ عينيها ..

* * *

ازدحم مكتب مدير المخابرات العامة المصرية برجالها ، وهم يهنئون زميلهم (أدهم صبرى) على نجاح مهمته ، وعودته سالمًا ، وكان أكثرهم فرحًا وسعادةً زميله البدين (قدرى) ، الذى هتف وهو يحرّك أصابع كفه اليمنى أمام وجه (أدهم) :

— انظر يا (أدهم) .. لقد عادت الحركة إلى أصابعى من جديد ، ولقد كدت أستعيد مهارتى السابقة فى فن التزوير ، والفضل يعود إليك يا صديقى ، فعبارتك مازالت تدوّى فى أذنى : « كل شىء يتحقق بالإرادة »(*) .. ولقد استنفرت إرادتى كلها لاستعادة مقدرتى .

ربّت (أدهم) على كتفه ، وهو يقول :

— هذا يسعدنى يا صديقى .

ابتسم (قدرى) فى سعادة ، ثم التفت إلى مدير المخابرات ، وسأله فى اهتمام :

(*) راجع قصة (الرصاصة الذهبية) .. المغامرة رقم (٤٧) .

— ماذا عن وضع (أدهم) ، بعد نجاحه فى هذه المهمة المعقَّدة يا سيِّدى ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

— لقد أسقط السيِّد رئيس الجمهورية كل التهم ، التى نسبت إلى (أدهم) ، وأصدر عنه عفوًا شاملاً .

سأله (قدرى) فى لهفة :

— وماذا عن عمله فى المخابرات ؟

ساد الصمت تمامًا فى الحجرة ، وغمغم المدير فى هدوء :

— لكل شىء ثمنه يا (قدرى) .

عقد (قدرى) حاجبيه ، وهو يسأل :

— وماذا تعنى هذه العبارة ؟

صمت المدير لحظة ، ثم أجاب :

— لا يمكن أن يستعيد (أدهم) كل شىء دفعة واحدة ، لقد خفَّض السيد الرئيس رتبته و .....

قاطعه (قدرى) فى دهشة :

— خفض رتبته ؟؟

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم .. لقد أصبح يحمل رتبة مقدّم بدلاً من رتبة عقيد .

تألقت عينا (قدرى) ، وهو يهتف فى انفعال :

ــ هل يعنى هذا أنه عاد للعمل معنا ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

ــ لحسن حظنا .

ضج المكتب بهتاف مرح سعيد ، واندفع الجميع يهنئون (أدهم) ، وأدار هو بصره إلى مدير المخابرات وقال فى امتنان :

ــ بل لحسن حظى أنا يا سيّدى ، فقد كنت كالسمكة فى الصحراء .

اتسعت ابتسامة مدير المخابرات ، وصافح (أدهم) فى حرارة ، وهو يقول :

ــ مرحبًا بعودتك إلى الصفوف يا (أدهم) .. مرحبًا بعودتك يا (رجل المستحيل) .

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩